بَيْنَ زُهَيْرٍ وَالْفَرَزْدَقِ : مُوازَنَةٌ نَصّيَّةٌ عَروضيَّةٌ

للدكتور مُحَمَّدْ جَمالْ صَقْرْ
أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد
بكلية دار العلوم ، من جامعة القاهرة

مُقَدِّمَةٌ

نَظَرِيّاتُ الْعَروضِ الْغَرْبِيَّةُ

[1] ميز رينيه ويليك في نظريات العروض الغربية ، الأربع الآتيات :

1 النظرية التخطيطية ، التي تضبط خصائص أنماط الشعر العروضية ، وتنبه الشاعر على ما ينبغي أن يسلكه في نظمه .
2 النظرية الموسيقية ، التي تضبط خصائص أصوات الشعر الأدائية ، وتنبه المتلقي على ما ينبغي أن يسلكه في إنشاده .
3 النظرية الصوتية ، التي تضبط خصائص أصوات الشعر الطبيعية ، وتنبه الباحث على ما ينبغي أن يعتمده في وصف حدوثها .
4 النظرية الغشتالتية ، التي تضبط خصائص وَحَدات الشعر الإيقاعية ، وتنبه المتلقي والباحث كليهما ، على ما ينبغي أن يعتمداه في قبول الشعر .

وطفق يقلب نظره في مزايا كل منها وعيوبها ، حتى قال : " إن الكثير ما زال موضع أخذ ورد ، غير أن الأوزان قد استعارت اليوم التَّماسَّ الضروري لها مع اللغويات ومع علم الدلالات اللغوية في الأدب . ونحن نرى أن الصوت والوزن يجب أن يدرسا كعنصرين في مجمل العمل الفني ، وليس بمعزل عن المعنى " [1] ، وكأنما طمح إلى نظرية خامسة ، أستطيع أن أضيفها فيما يأتي :

- النظرية النصية ، التي تضبط خصائص القصائد الصوتية العروضية وغير العروضية ، المعول عليها في تمييز أنواع الشعر ، وتنبه الباحث على ما ينبغي أن يعتمده من الأفكار البنائية المعول عليها في تكوين رسائل النصوص ، وفي تلقيها [2] .

لقد مر زمان طويل بعد هذا الكلام الذي قد غمز فيه الناقد الإنجليزي الكبير ، انبهار بعض الأميريكيين بعلْميَّة النظرية الصوتية ، ورؤيتهم الإعلامية أنها نهاية النظريات العروضية [3] - زمان طويل لم يهملوا فيه نقده لهم ؛ ففي ضمن المرحلة الرابعة من مراحل إنتاج النص المتزامنة ، قال دي بوجراند الباحث النصي الأميريكي : " ينبغي لتحويل عالم النص إلى تعبير سطحي ، أن يلتزم كذلك بمطالب التركيب بالنسبة لنص من نوع السونيت . ويُسَبِّبُ هذا المطلب وَضْعًا ذا مشكلة خاصة ؛ إذ يجب بالنسبة للسبك أن يعالج بطريقة تؤدي للوصول إلى ترتيب نمطي دقيق : (1) رتبة نحوية (2) ترتيب الأبيات (3) ترتيب الأصوات (4) ترتيب معجمي . وكان المبدأ التركيبي لدى شيكسبير في مراعاته لكل هذه المستويات ، هو التساوي قبل كل

شيء " [4] ، ثم ذهب يشرح ما في بعض سونيتات الشاعر الإنجليزي الكبير ، مِنْ تآخُذ الخصائص الصوتية ، والأفكار البنائية !

نَظَرِيّاتُ الْعَروضِ الْعَرَبِيَّةُ

[2] ربما كان من علامات حيوية الثقافات الكبيرة ، أن تتشابه فيها حركات المراحل العلمية المتوالية ؛ فيبدو بعض أعمال الخليل بكتابه المنثور في الكتب ، والمعري بكتابه " الفصول والغايات " ، والفارابي بكتابه " كتاب الموسيقا الكبير " ، والقرطاجني بكتابه " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " ، وغيرهم بغيرها - قريبا من النظرية التخطيطية ، وبعضها قريبا من النظرية الموسيقية ، وبعضها قريبا من النظرية الصوتية ، وبعضها قريبا من النظرية الغشتالتية - بل تبدو بعض إشاراتهم فيها وتنبيهاتهم ، قريبة من النظرية النصية ؛ وكأن حركة مراحل الثقافة الغربية الخالفة ، من حركة مراحل الثقافة العربية السالفة !

لقد مر زمان طويل بعد هذه المراحل العربية ، أهمل فيه الباحثون العرب تراثهم الثقافي الضخم ، إلا قليلا ، ثم أقبلوا ينتهجون مناهج الثقافة الغربية ، ويحملون نظريات علومها ؛ فيبدو بعض أعمال الدكتور عبد الله الطيب بكتابه " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها " ، والدكتور إبراهيم أنيس بكتابه " موسيقى الشعر " ، والدكتور شكري عياد بكتابه " موسيقى الشعر العربي " ، والدكتور كمال أبو ديب بكتابه " في البنية الإيقاعية للشعر العربي " ، وغيرهم بغيرها - قريبا كذلك من النظرية التخطيطية ، وبعضها قريبا كذلك من النظرية الموسيقية ، وبعضها قريبا كذلك من النظرية الصوتية ، وبعضها قريبا كذلك من النظرية الغشتالتية - بل تبدو بعض إشاراتهم فيها وتنبيهاتهم ، قريبة كذلك من النظرية النصية ؛ وكأن الثقافة العربية ، جلمود صخر جامد ثابت ، لم يَصْعَدْ به السيلُ ، ولم يَهْبِطْ !

خِدْمَةُ نَظَرِيَّةِ الْعَروضِ النَّصّيَّةِ

[3] لقد كان من رأي الدكتور فاروق الباز عالم الفضاء الكبير المعاصر ، في بعض حواراته المتلفزة ، فيما اتسع بيننا وبين الحضارة الغربية من هوة بعيدة ، أَنْ نَقْفِزَ إلى مرحلتها الأخيرة ، من غير أَنْ نَسْعى في مراحلها مرحلةً مرحلةً ، لأننا لن نستطيع ذلك ، ولن نستفيد منه شيئا ! وهو رأي إذا جاز في ماديات الحضارة ، لم يجز في معنوياتها (الثقافة) ، إلا إذا نَفَضْنا مِنْ ثَقافتنا (ماهيَّتِنا) أَيْدِيَنا ، وانتسبنا إلى الثقافة الغربية !

لا حيلة للمؤمنين بالحضارة العربية الإسلامية (أَنْفُسِهِمْ) - وأسأل الله أن أظل منهم ولهم ! - إلا أن يستوعبوا مراحل الثقافتين العربية والغربية جميعا معا ، ويجتهدوا أن يضيفوا مرحلة عربية حديثة ، تتصل فيها أسباب المراحل العربية السالفة والمراحل الغربية الخالفة !

ولقد أفضى بي السعي في سبيل تلك الغاية الجليلة ، إلى أن أَنْتَبِهَ من مقالات علمائنا القدماء في شعر الطبقة الأولى من فحول الجاهليين ، إلى مقالة أبي عمرو بن

العلاء هذه النفيسة : " **نَظيرُهُ (الأعشى) في الإسْلامِ جَريرٌ ، وَنَظيرُ النّابِغَةِ الأَخْطَلُ ، وَنَظيرُ زُهَيْرٍ الْفَرَزْدَقُ** " [5] ؛ فأراها علامة بارزة على منهج موازنة القصائد (النصوص) المتزامنة أو المتعاقبة أو المتزامنة المتعاقبة معا ، ودعوة خالدة إلى بحث نصي عروضي شامخ :

كيف أنشأ الثلاثة الشعراء الجاهليون (الأعشى والنابغة وزهير) والثلاثة الشعراء الإسلاميون (جرير والفرزدق والأخطل) نصوصهم ؟

وما الذي اجتمعوا عليه ، وما الذي افترقوا فيه ، بحيث أشبه بعضهم بعضا ، وظَلّوا مع ذلك شعراء كبارا ، لا يغني بعضهم طلاب الشعر عن بعض ؟

ومن ثم فتشت عن دواوين الشعراء الستة ، ثم قرنت بعضها ببعض على ما رأى أبو عمرو بن العلاء ، ورتبتها حتى أُوازِنَ بَيْنَ كُلِّ قَرينَيْنِ ، واخترت لهذا البحث شعر ثالث أزواج الشعراء المذكورين بمقالته نفسها (زهير والفرزدق) ، من غير أن أخلعهما في المبحث الآتي ، من سائر قُرَنائِهما .

شِعْرُ زُهَيْرٍ وَالْفَرَزْدَقِ

شِعْراهُما في أَشْعارِ غَيْرِهِما

[4] لم يفرق أبو عمرو في شعراء مقالته تلك النفيسة ، من الجاهليين ، بين الأعشى المتوفى سنة 7 هـ ، والنابغة المتوفى سنة 18 ق هـ ، وزهير المتوفى سنة 13 ق هـ - ولا في شعرائها من الإسلاميين ، بين جرير المتوفى سنة 110 هـ ، والأخطل المتوفى سنة 90 هـ ، والفرزدق المتوفى سنة 110 هـ ؛ فزَوَّجَ من هؤلاء وأولئك أزواجها ؛ فأغراني بأن أقيس نتاج كل شاعر من هؤلاء وأولئك ، إلى متوسط نتاج نموذجه ، على ألا أفرق في القدماء بين جاهلييهم ومخضرميهم ، كما لم يفرق [6] .

لقد كانت قصائد كل شاعر من شعراء مقالة أبي عمرو ، أكثر من متوسط قصائد نموذجه ، وأبيات القصيدة الواحدة من شعره ، أكثر من أبيات القصيدة الواحدة من شعر نموذجه غالبا ، أو مثلها نادرا . و" عدد القصائد " ، و" طول الواحدة " ، كلاهما معيار أصيل من معايير تقدير علمائنا القدماء ، للشاعر في الفحول [7] .

وعلى رغم زيادة الشاعر المتأخر (الأموي) الكبيرة ، على سلفه الشاعر المتقدم (الجاهلي والمخضرم) ، التي انتفع فيها بانقطاعه للشعر وحفظه له بالكتابة - اتفق بينهما متوسط طول القصيدة ؛ فكشف جانبا من جوانب مراجعة الأمويين لمذاهب الجاهليين ، ونبه على ما في طوايا مقالة أبي عمرو من خبايا حكمته !

ثم لم يكن عدد قصائد الشاعر ولا طول قصيدته ، هما وحدهما ما حفز أبا عمرو إلى تشبيه أي من المتأخرين بأي من المتقدمين ؛ فقد تَبَيَّنَ :

1 أن شعر الأعشى في مثل ثمانية أضعاف شعر نموذجه ، وشعر جرير في مثل تسعة أضعاف شعر نموذجه ، وبهذا يتقاربان ، ولكن أبيات القصيدة من شعر الأعشى في مثل أربعة أضعاف أبيات القصيدة من شعر نموذجه ، وأبيات

القصيدة من شعر جرير في مثل ضِعْفَيْ أبيات القصيدة من شعر نموذجه ، وبهذا يتباعدان .

2 أن شعر النابغة في مثل ثمانية أضعاف شعر نموذجه ، وشعر الأخطل في مثل ستة أضعاف شعر نموذجه ، وبهذا لا يتقاربان - ثم أبيات القصيدة من شعر النابغة في مثل أبيات القصيدة من شعر نموذجه ، وأبيات القصيدة من شعر الأخطل في مثل ضِعْفَيْ أبيات القصيدة من شعر نموذجه ، وبهذا يتباعدان .

3 أن شعر زهير في مثل خمسة أضعاف شعر نموذجه ، وشعر الفرزدق في مثل ثمانية عشر ضعفا من شعر نموذجه ، وبهذا يتباعدان - وأن أبيات قصيدة كل من زهير والفرزدق في مثل ضِعْفَيْ أبيات القصيدة من شعر نموذجها ، وبهذا يتقاربان .

ثم أغراني ذلك بأن أوازن بين نِسَب بحور الشعر في نتاج كل شاعر من هؤلاء وأولئك ، وبينها في نتاج كل من نموذجيهم المتقدم والمتأخر كذلك [8] .

لقد استمر في شعر المتأخرين (الأمويين) ، إهمال أبحر المضارع والمقتضب والمتدارك ، حتى تهيأ لها في العصر العباسي السياق الثقافي الملائم [9] . واستمر استعمال البحور الثلاثة عشر من شعر النموذج العام المتقدم ، إلى شعر النموذج العام المتأخر ، وكانت في شعر الشاعر الواحد ، أقل منها في شعر النموذج العام . ثم استمرت لهذه البحور منازلها العامة الثلاث ، على النحو الآتي :

- في المنزلة الأولى :
  - الطويل فالبسيط فالوافر فالكامل ، من شعر الأموي .
  - الطويل فالوافر فالكامل فالبسيط ، من شعر سلفه .
- في المنزلة الثانية :
  - الخفيف فالرجز فالمتقارب فالمنسرح فالرمل ، من شعر الأموي .
  - الرجز فالمتقارب فالخفيف فالرمل فالمنسرح ، من شعر سلفه .
- في المنزلة الثالثة :
  - السريع فالمديد فالهزج فالمجتث ، من شعر الأموي ، ومن شعر سلفه جميعا معا .

فانكشفت بهذا وذاك ، جوانب أخرى من جوانب مراجعة الأمويين لمذاهب الجاهليين ، وانتبهتُ مرة أخرى ، إلى ما في طوايا مقالة أبي عمرو من خبايا حكمته !

ثم كان في تنازل أنصبة المتأخرين (الأمويين) ، من بحور الشعر ، وتفاوت نسب الأبحر المتساوية المنازل بينهم وبين المتقدمين (الجاهليين والمخضرمين) ، واختلاف منازل بعض الأبحر بينهم وبين المتقدمين - ما طبع كلا منهم بطابعه ، وكفل انمياز بعضهم من بعض . وربما كان فيما يأتي من تفصيل ما بين زهير والفرزدق ، كفاية مظاهر الافتراق بيانا ، وزيادة مظاهر الاجتماع .

شِعْرُ كُلٍّ مِنْهُما في شِعْرِ الْآخَرِ

[5] لزهير 53 قصيدةً وقِطْعَةً ونُتْفَةً ويَتيمًا ، وللفرزدق 600 [10] ، أي مثل ما لزهير 11 مرة - بما كان الفرزدق كسائر معاصريه أكثر انقطاعا للشعر ، وبما كان زهير كسائر معاصريه أكثر ابتلاء بتضييع شعره ونسيانه . ولكن أطرف ما بينهما أن يختار أبو عمرو بن العلاء من ثلاثة المتأخرين ، الفرزدق الذي قصائده أكثر من قصائد أيٍّ منهم ، ليشبهه من ثلاثة المتقدمين ، بزهير الذي قصائده أقل من قصائد أيٍّ منهم ؛ فيستفزنا إلى التنقيب [11] !

لقد اجتمع زهير والفرزدق على أبحر الطويل والبسيط والوافر والكامل والمتقارب ، وانفرد زهير بالرمل والمنسرح ، وانفرد الفرزدق بالرجز وكأنه أَبْدى بَداوَةً من زهير !

ثم في خلال ذلك تطابقت منازل الطويل أولا والوافر ثانيا والبسيط ثالثا والمتقارب خامسا ، وخالفت منزلة الكامل عند زهير ثالثا مكررا ، منزلته عند الفرزدق رابعا .

ولكن ينبغي في خلال ذلك ، التنبيه على استيلاء الطويل على أكثر شعر الفرزدق ، وكأنما جعل همه مراجعة الألحان القديمة بعد فترة اطِّراحها ، فأما زهير ففي مَعْمَعَتها التي مَنْ كان فيها لم يَتَبَيَّنْ ملامحها !

ثم قد ائتلفت بين كلٍّ من شعري زهير والفرزدق ، وكلٍّ من شعري نموذجيهما ، بعض المنازل ؛ فَنَسَبَتْ كلا منهما إلى عصره ، على النحو الآتي :

1 منزلة الطويل أولا ، في شعري زهير والفرزدق وشعري نموذجيهما ، كلهم جميعا .
2 منزلة الوافر ثانيًا والكامل ثالثا ، في شعر زهير ونموذجه كليهما جميعا .
3 منزلة الكامل رابعا والرجز سادسا ، في شعر الفرزدق وشعر نموذجه كليهما جميعا .

واختلفت بعض المنازل ؛ فكفلت لكل منهما خصوصيته المتأبية أبدا على التعميم ، كما يلي :

1 منازل المديد والهزج والرجز السريع والخفيف والمجتث ، مفتقدة في شعر زهير ، دون شعر نموذجه - ومنازل المديد والهزج والرمل والسريع والخفيف والمنسرح والمجتث ، مفتقدة في شعر الفرزدق ، دون شعر نموذجه .
2 منازل البسيط والرمل والمنسرح والمتقارب في شعر زهير خاصة ، غيرُها في شعر نموذجه .
3 منازل البسيط والوافر والمتقارب في شعر الفرزدق خاصة ، غيرُها في شعر نموذجه .

أَنْماطُ قَصائِدِ كُلٍّ مِنْهُما في أَنْماطِ قَصائِدِ الْآخَرِ

[6] يَتَحَدَّدُ للقصيدة نَمَطُها العَروضيُّ الذي يُراعيه في الفَهْرَسَة أهل العلم بالعروض من مُحَقِّقي دواوين الشعراء ، بِتَحْديدِ هاتَيْنِ الطّائِفَتَيْنِ مِنْ خَصائِصِها العَروضيَّة :

1 " و " = خصائصها الوزنية : البحر ، وطول البيت ، وصورة عروض البيت ، وصورة ضربه .

2 " ق " = خصائصها القافوية : الروي ، وحركته أو سكونه ، والتجريد أو الإرداف أو التأسيس ، والوصل ، وحركة الوصل إذا لم يكن ساكنا .

فقصيدة زهير الأولى ، مثلا :

" أَمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّم بِحَوْمانَةِ الدُّرّاجِ فَالْمُتَثَلَّم " [12]

نمطها العروضي : [و = الطويل ، الوافي ، المقبوض العروض والضرب + ق = الميمية ، المكسورة ، المجردة ، الموصولة بالياء] .

وقصيدة الفرزدق الأولى ، مثلا :

" سَما لَكَ شَوْقٌ مِنْ نَوارٍ وَدونَها سُوَيْقَةُ وَالدَّهْنا وَعَرْضُ جِوائِها " [13]

نمطها العروضي : [و = الطويل ، الوافي ، المقبوض العروض والضرب + ق = الهمزية ، المكسورة ، المردفة بالألف ، الموصولة بالهاء المفتوحة] .

وكلما غَيَّرَ زهير والفرزدق أحدُهما أو كلاهما ، أيًّا من تلك الخصائص الوزنية أو القافوية ، استحدثا نمطًا عروضيا جديدا ، وكلما كثر ما يستحدثانه من الأنماط ، تَجَلّى خِصْبُ تَفْكيرهما العَروضيّ [14] .

لقد اخْتَصَّ زُهَيْرٌ كُلَّ قصيدة من اثنتين وخمسين 52 قصيدة من قصائده الثلاث والخمسين 53 ، بنمط عروضي ، ولولا قصيدة واحدة جعلها من نمط قصيدة أخرى ، لانفردت كل قصيدة من شعره كله بنمط عروضي !

أَمّا الفَرَزْدَقُ فَلَمْ يَخْتَصَّ بنمط عروضي إلا كُلَّ قصيدة من أربع وعشرين ومئة 124 قصيدة ، من قصائده الستمئة 600 .

ولقد ينبغي الاعتماد في التنبيه على أَنَّ أَكْبَرَ الأنماط العروضية حُظوظًا من القصائد ، هي أَنْماطُ أَكْثَرِ الأبحر استعمالا - على شعر الفرزدق دون شعر زهير ؛ فقد تَدَرَّجَتْ أَنْصِبَة أنماط الأبحر في شعر الفرزدق ، تَدَرُّجَ نِسَبِ استعمال الأبحر تقريبا (الطويل فالوافر فالبسيط فالكامل فالرجز والمتقارب) ، فأما أنماط زهير فلا تَفاوُتَ في أَنْصِبَتِها من القصائد باخْتِلاف نِسَبِ اسْتِعْمال أَبْحُرها ، لانفراد كل قصيدة من قصائده تقريبا بنمط ، ففي أكثر أبحر شعره استعمالا (الطويل فالوافر فالبسيط فالكامل فالمنسرح فالرمل فالمتقارب) ، أكثر أنماط قصائده العروضية !

وعلى حين كان هذا النمط : [و = الكامل ، الوافي ، الأحذ العروض ، المضمر الضرب الأحذه + ق = الميمية ، المكسورة ، المجردة ، الموصولة بالياء] ، هو الذي عاد إليه زهير على غير عادته - كان هذا النمط : [و = الطويل ، الوافي ،

المقبوض العروض والضرب + ق = الميمية المكسورة ، المؤسسة ، الموصولة بالياء] - هو الذي لَهِجَ به الفرزدق [15] .

هذان مطلعا قصيدتي زهير 48 و49 ، اللتين من نمط واحد :

" هاجَ الْفُؤادَ مَعارِفُ الرَّسْم قَفْرٌ بِذي الْهَضَباتِ كَالْوَشْم " [16]

" أُخْبِرْتُ أَنَّ أَبا الْحُوَيْرِثِ قَدْ خَطَّ الصَّحيفَةَ أَيْتَ لِلْحِلْم " [17]

وربما بدا غريبًا عَمَلُ زهير ؛ فعلى حين كان أكثر قصائده من الطويل ، لم يكن منه النمط الذي عاد بها إليه ، بل عاد إلى نمط من الكامل مرة واحدة فقط . فماذا بالقصيدتين ؟

1 الأولى عشرون بيتا ، والآخرة ثمانية أبيات .

2 الأولى مُقَفّاة المَطْلَع (مشبهٌ آخر كلمة عَروضه ، بآخر كلمة ضربه) ، والآخرة مُصْمَتَة المَطْلَع (غير مُقَفّاةٍ ولا مُصَرَّعَةٍ) ، والتَّقْفِيَةُ من سمات المطلع التي لم يكد شعراء العرب الأوائل يتركونها [18] .

3 أحوال حشو مطلع الآخرة مثل أحوال حشو مطلع الأولى .

4 آخر فصول الأولى في تَأْبينِ هَرِمٍ بتَنْزيهه عن قبيح ما لدى غيره من خِصالٍ ذَميمَةٍ ، وأول فصول الآخرة في استهجان ما اجترأ عليه أَبو الْحُوَيْرِثِ من قَبيحِ الْفِعال .

5 كلمتا " الحِلْم ، الحَزْم " ، في كلمات قوافي الآخرة ، مِنْ نَعْي زُهَيْرٍ على أَبي الْحُوَيْرِثِ تَضْييعَه الْحِلْمَ ، وفَخْرِه هو بانتمائه إلى أَهْلِ الْحَزْمِ ، وهو قد أَبَنَ هَرِمًا في الأولى بانتمائه إلى الْحَزْمِ ، وثَباتِه على الْحَلْم .

فمن ثم أرى أن نشأة القصيدتين نشأة قصيدة واحدة ، إجراء لمنهج زهير في عدم تعديد قصائد الأنماط ، ثم جعلها هو نفسه أو رواته قصيدتين ؛ فلقد كان من عمل عبيد الشعر وهو من رؤوسهم ، أن يقيموا على القصيدة زمانا طويلا ؛ فربما اختلفت جهات كلامهم في القصيدة الواحدة باختلاف خواطرهم في جلساتهم المتوالية إليها ، عن همومهم الحازبة ، ومشاعرهم الطارئة !

ثم هذان مَطْلَعا قَصيدَتَيِ الفرزدق 505 و506 ، أولَيَيْ مُتَواليات نَمَطِه الْأَكْبَرِ نَصيبًا من قصائده :

" سَتَبْلُغُ عَنّي غُدْوَةَ الرّيحِ أَنَّها مَسيرَةُ شَهْرٍ لِلرّياحِ الْهَواجِم " [19]

" أَباهِلَ هَلْ أَنْتُمْ مُغَيِّرُ لَوْنِكُمْ وَمانِعُكُمْ أَنْ تُجْعَلوا في الْمَقاسِم " [20]

ولا بُدَّ أَنْ يَبْدُوَ قَريبًا عَمَلُ الفرزدق ؛ فقد كان من الطويل أغلبُ قصائده ، وكان منه النمطُ الذي عاد إليه كثيرا جدا ! فماذا بالقصيدتين ؟

1 الأولى ستة وعشرون بيتا والآخرة تسعة وعشرون .

2 قصائد هذا النمط الثماني والعشرون ، كلها مُصْمَتَة المطالع (غير مُقَفّاتِها ولا مُصَرَّعَتِها) .

3 مطلع الأولى مكرر في مطلع القصيدة 521 [21] ، من النمط نفسه ، وإن تحول الفعل " سَتَبْلُغُ " ، إلى " سَيَبْلُغُ " ، والاسم " غُدْوَة " ، إلى " غَدْوة " ؛ فتحول تقدير المصدر المؤول من مذكر إلى مؤنث ، وتحولت صيغة الاسم من اسم مصدر إلى اسم مرة ، ولا يخلو ذلك كله من معنى التكرار .

4 الأولى في هجاء باهِلَةَ وبَني عامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وجَريرٍ ، والآخرة في هجاء باهِلَةَ وشاعِرِها الأَصَمّ .

5 في خصائص القصيدتين القافوية ، ما يلائم مُنْتَسَبَ الفرزدق إلى دارِمٍ صَرْفًا وَنَحْوًا ؛ فتأسيس القافية (إيجاد ألفٍ بينَها وبينَ الرويّ مُتَحَرّكٌ) ، يمهد لألف اسم الفاعل " دارم " ، وكسرها (تَحْريك رويّها بالْكَسْرة) ، يمهد لجر المضاف إليه ، والإضافة نِسْبَة . وقد وقعت كلمة " دارم " ، قافية البيت الخامس من الأولى ، وقافية البيت الحادي عشر من الآخرة .

فمن ثم أرى في حرص الفرزدق على هذا النمط ، تمسكًا بما شاع في الناس من شعره ، واعتمادًا عليه ، وترسيخًا لنغمة اسم قبيلته ؛ فقد ذكر اسم دارم في قوافي إحدى عشرة قصيدة من هذا النمط الغالب [22] ، بل ذكره أكثر من مرة في قصيدتين منها [23] !

أَطْوالُ قَصائِدِ كُلٍّ مِنْهُما في أَطْوالِ قَصائِدِ الْآخَرِ

[7] يستغني محققو دواوين الشعراء بتلك الأنماط العروضية إذن ، في فَهْرَسَة قصائدها ، فأما طلاب علم الشعر من حملة النظرية النصية العروضية ، فلا يستغنون ، ولا يرتاحون ؛ حتى إذا ما قال الفارابي : " التَّكْثيرُ مِنَ الْأَبْياتِ لَيْسَ لَه غَناءٌ في وُجودِ الْوَزْنِ وَتَكْميلِه ، لكِنْ هُوَ تابِعٌ لِلْأَمْرِ الَّذي فيه الْقَوْلُ ؛ فَإِنْ كانَ قَليلًا كانَتِ الْأَبْياتُ قَليلَةً ، وَإِنْ كانَ كَثيرًا كانَتِ الْأَبْياتُ كَثيرَةً " [24] - ارتاحوا إلى أن يكون طول القصيدة (تقليل أبياتها وتكثيرها) ، كنمطها العروضي (إيجاد وزنها وتكميله) ، فكرةً بنائيةً معتبرةً في بيان أداء رسائل النصوص وبيان تلقيها (الأمر الذي فيه القول) ، كما يبدو في المبحثين الآتيين .

قِصارُ زُهَيْرٍ وَالْفَرَزْدَقِ

مِعْيارُ الطّولِ وَالْقِصَرِ

[8] لزهير في 53 قَصيدَةً ، 865 بيت ، وللفرزدق في 600 قَصيدَةٍ ، 7160 بيت [25] ؛ فمتوسط طول قصيدة زهير 16 بيتا ، ومتوسط طول قصيدة الفرزدق 12 بيتا - بما كان زهير أكثر تَنْقيحًا في مقامات الإعذار والإنذار والترهيب والترغيب والإصلاح ، التي اقتضته من تطويل التفكير وتشقيق التعبير ، ما قُدِّمَ به على غيره [26] ، وبما كان الفرزدق أكثر اكْتِفاءً في مقامَي المُناجَزة والمُفاخَرة ، اللَّذَيْنِ اقتضياه من اختطاف الأفكار واقتضاب العبارات ، ما قُدِّمَ به على جرير [27] .

وباسمِ القَصيدة وصِفَةِ القِصَرِ أو صِفَةِ الطّولِ ، تتحرك قَصائِدُ الأبيات الكَثيرَةِ ، وقِطَعُ الأبيات القَليلَةِ ، وتُتَفُ الأبيات الْأَقَلّ ، ويَتامى الأبيات المُنْفَرِدَة - تَمَسُّكًا بعموم معنى القَصْد الذي في كلمة قصيدة ، بحيث **يُصَنَّفُ في قِصارِ قَصائِدِ كُلٍّ مِنْهُما ، ما أَبْياتُه دونَ الْمُتَوَسِّطِ ، وَفي طِوالِها ما أَبْياتُه فَوْقَ الْمُتَوَسِّطِ** [28] !

لقد تناقصت أعداد قصائد شاعرينا ، بتزايد أطوالها ، من غير أن ينكسر تَدَرُّجُها ! وهو جامع منطقي مهم بين زهير والفرزدق ، ربما دل على غلبة طبائع الأشباح الكثيرة الاتفاق ، على طبائع الأرواح الكثيرة الاختلاف ؛ فمهما اختلفت معاملات الشعراء لشعرهم ، يخضعون في أثنائها لطبيعة العمل التي تزيد فيها أعداد الأعمال الصغيرة على أعداد الأعمال الكبيرة [29] .

غَلَبَةُ الْقِصارِ

[9] تستولي القصار على قصائد كلا شاعرينا ، بنِسْبَتَيْنِ متقاربتين جدا ؛ أما الفرزدق المشهور بقذائفه من القصار ، المقدم بتجويده لها على جرير [30] ، فقد وُفِّقَ إلى ما يكفل له حفظ المتلقين وترديدهم - وأما زهير المشهور بذخائره من الطوال [31] - فقد أرابني من شأن حَوْليّات عبيد الشعر ، في كُمونِ التَّحْبير والتَّثْقيح والتَّهْذيب ، في الطوال ، وأطلعني على أن التَّحْبير والتَّثْقيح والتَّهْذيب ، كل أولئك تكون في القصار كما تكون في الطوال .

ولقد وقعت دون العشرة أكثر قصار زهير وأغلب قصار الفرزدق ، وغلبت عليها النُّتْفَةُ ذاتُ الثَّلاثَةِ الْأَبْياتِ [32] ؛ فتجلى طرف من استحسان الشعراء والعلماء جميعا ، أن تكون القصيدة وترا [33] !

وِتْرِيَّةُ الْقِصارِ وَالطِّوالِ

[10] ولكن ينبغي الانتباه من تلك الوترية إلى نوعين بَديهِيَّيْن :

1 وِتْرِيَّة القِصار ، وهي صَريحة في الأبيات ، يُغْلِق فيها الشاعر بالبيت الثالث مثلا ، الدائرةَ المفتوحة بالبيتين قبله ، ويُحْكِم أَمْرَه .

2 وِتْرِيَّة الطِّوال ، وهي صريحة في الفصولِ (مجاميع الأبيات المتآزرة في أثناء القصيدة على غرض واحد) ، يُغْلِقُ فيها الشاعر بالفصلِ الثالثِ مثلا (المجموعةِ الثالثة) ، الدائرةَ المفتوحة بالفصلين قبله ، ويُحْكِمُ أَمْرَه .

إن ذاك البيت من القصيرة ، بمثابة هذا الفصل من الطويلة ؛ فلن ينتبه الشاعر المُغْلِقُ من عشرات الأبيات أو مئاتها ، إلى زَوْجيَّتِها لِيُضيف الوِتْر ، بل لا انتفاع له بمثل هذا الانتباه ، إلا أن يكون نَظّامًا مَوْتورًا ؛ ومن ثم جعلت النظر في طوال شاعرينا ، بعد النظر في قصار زهير المُثَلَّثة كُلِّها ، وفي مثلها من أول ما يعرض لي بديوان الفرزدق .

مُثَلَّثاتُ زُهَيْرٍ

[11] هي هذه الخمس الآتيات على ترتيبهن في ديوانه :

1 " إنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مِثْلُها ما تَبْتَغي غَطَفانُ يَوْمَ أَضَلَّت

إنَّ الرِّكابَ لَتَبْتَغي ذا مِرَّةٍ بِجُنوبِ نَخْلَ إذا الشُّهورُ أُحِلَّت
وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ لَنا إذا نَهِلَتْ مِنَ الْعَلَقِ الرِّماحُ وَعَلَّت " [34]

2 " وَلا تُكْثِرْ عَلى ذَي الضِّغْنِ عَتْبًا وَلا ذِكْرَ التَّجَرُّمِ لِلذُّنوب
وَلا تَسْأَلْهُ عَمّا سَوْفَ يُبْدي وَلا عَنْ عَيْبِه لَكَ بِالْمَغيب
مَتى تَكُ في صَديقٍ أَوْ عَدوٍّ تُخَبِّرْكَ الْوُجوهُ عَنِ الْقُلوب " [35]

3 " مَرِجَ الدّينُ فَأَعْدَدْتُ لَه مُشْرِفَ الْحارِكِ مَحْبوكَ الثَّبَجْ
يَرْهَبُ السَّوْطَ سَريعًا فَإِذا وَنَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجْ
سَلِسَ الْمَرْسِنِ مَمْحوصَ الشَّوى شَنِجَ الْأَنْساءِ مِنْ غَيْرِ فَحَجْ " [36]

4 " مَنْ يَتَجَرَّمْ لي الْمَناطِقَ ظالِمًا فَيَجُرِ إلى شَأْوٍ بَعيدٍ وَيَسْبَح
يَكُنْ كالْحُبارى إنْ أُصيبَتْ فَمِثْلُها أُصيبَ وَإِنْ تُفْلِتْ مِنَ الصَّقْرِ تَسْلَح
كَعَوْفِ بْنِ شَمّاسٍ يُرَشِّحُ شِعْرَه إِلَيَّ أَسِدّي يا مَنِيَّ وَأَسْجِحي " [37]

5 " وَلَوْلا أَنْ يَنالَ أَبا طَريفٍ عَذابٌ مِنْ مَليكٍ أَوْ نَكال
لَما أَسْمَعْتُكُمْ قَذَعًا وَلكِنْ لِكُلِّ مَقامِ ذي عانٍ مَقال
عَلى ما تَحْبِسونَ أَبا طَريفٍ أَلا في كُلِّ ما شَيْءٍ طَوال " [38]

مِنْ مُثَلَّثاتِ الْفَرَزْدَقِ

[12] هذه الخمس الآتيات على ترتيبهن في أوائل ديوانه :

1 " وَإِجّانَةٍ رَيّا الشَّروبِ كَأَنّها إذا اغْتُمِسَتْ فيها الزُّجاجَةُ كَوْكَب
مُخَتَّمَةٌ مِنْ عَهْدِ كِسْرى بْنِ هُرْمُزٍ بَكَرْنا عَلَيْها وَالْفَراريجُ تَنْعَب
سَبَقْتُ بِها يَوْمَ الْقِيامَةِ إِذْ دَنا وَما لِلصِّبا بَعْدَ الْقِيامَةِ مَطْلَب " [39]

2 " أَلا أَيُّها السُّوّالُ عَنْ جِلَّةِ الْقِرى وَعَنْ غالِبٍ وَالْقَبْرُ مِنْ دونِ غالِب
لَقَدْ ضَمَّتِ الْأَكْفانُ مِنْ آلِ دارِمٍ فَتًى فايِضَ الْكَفَّيْنِ مَحْضَ الضَّرايِب
فَمَنْ لِقِرى الْمَقْرورِ في لَيْلَةِ الصَّبا وَساعٍ عَلى آثارِ تِلْكَ النَّوايِب " [40]

3 " رَأَيْتُ الْعَذارى قَدْ تَكَرَّهْنَ مَجْلِسي وَقُلْنَ تَوَلّى عَنْكَ كُلُّ شَباب
يَنُرْنَ إذا هازَلْتُهُنَّ وَرُبَّما أَراهُنَّ في الْإِثْآرِ غَيْرَ نَوابي
عَتَبْنَ عَلى فَقْدِ الشَّبابِ الَّذي مَضى فَقُلْتُ لَهُنَّ لاتَ حينَ عِتاب " [41]

4 " رُوَيْدَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذي كُنْتَ جاهِلًا بِأَسْبابِه حَتّى تَغِبَّ عَواقِبُهْ
لَعَلَّ حِمى الدَّهْنا يَضيق بِراكِبٍ إذا ما غَدا أَوْ راحَ تَسْري رَكايِبُهْ
أَرى زَهْدَمًا لا يَسْتَطيعُ فَعالَه لَئيمٌ وَلا الْكَسْبَ الَّذي هُوَ كاسِبُهْ " [42]

5 " نَكْفي الْأَعِنَّةَ يَوْمَ الْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ وَابْنُ الْمَراغَةِ خَلْفَ الْعَيْرِ مَضْروب
مِنّا الْفُروعُ اللَّواتي لا يُوازِنُها فَخْرٌ وَحَظُّكَ في تِلْكَ الْعَراقيب
يا ابْنَ الْمَراغَةِ إنَّ اللّهَ أَنْزَلَني حَيْثُ الْتَقَتْ في الذُّرى الْبيضُ الْمَناجيب " [43]

بَيْنَ الْأَنْماطِ وَالْحَرَكاتِ

[13] لقد كان لكل مثلثة من مثلثات شاعرينا ، نمطها العروضي المتحدد كما سبق ، بهاتَيْنِ الطّائِفَتَيْنِ مِنْ خَصائِصِها العَروضيَّة : [و(خصائصها الوزنية)=

البحر ، وطول البيت ، وصورة عروض البيت ، وصورة ضربه + ق(خصائصها القافوية)= الروي ، وحركته أو سكونه ، والتجريد أو الإرداف أو التأسيس ، والوصل ، وحركة الوصل إذا لم يكن ساكنا] .

ثم كانت لكل مثلثة منها ، حركتها العروضية الصوتية الناشئة من علاقة مقاطعها القصيرة فيها بغيرها من مقاطعها الطويلة أو الزائدة الطول ، وسرعتها الموكولة إلى مقاطعها القصيرة ، وبطؤها الموكول إلى مقاطعها غير القصيرة ، ومقداراهما المقيسان بقسمة القصيرة في أي منها على غيرها ؛ حتى ليكون بعض الأنماط العروضية ، أسرع من بعض سرعة واضحة ، وبعضها أبطأ من بعض بطئا واضحا ، وبعضها مثل بعض تماما ؛ فلا يغفل عن هذين الاستواء والبطء ولا عن تلك السرعة ، شاعرٌ ولا عَروضيٌّ ولا موسيقيٌّ [44] .

عَناصِرُ مُرَكَّبِ الرِّسالَةِ

[14] ثم كانت لكل مثلثة منها ، رسالة إلى المتلقي كرسالة أية طويلة ، لو لم تكتمل فيها لانفردت بالشعر القصائد الطوال - هي الغَرَض الذي أرادا نَفْثَه في روع المتلقي .

وكلُّ رسالةٍ مُرَكَّبٌ من أفكار مُتَآزرة في سبيل أدائها . وكلُّ فِكْرَةٍ مِنْ هذه الأفكار على حَسَبِ مَوْضِعِها من مُرَكَّبِها ، نَوْعٌ من ثلاثة :

1 مُشْكِلَة ؛ فإنني لمّا وجدت لُبَّ المُرَكَّب هو ما أَلَمَّ بالشاعر فنَشِط ، واحْتَفَز إلى الشعر ، جَعَلْتُه هو المُشْكِلَة المُخْتَلَف فيها كثيرًا (المُعْضِلَة ، أو المُصيبة) .

2 دَعْوى ؛ فإنني لمّا وجدت شِعارَ لُبِّ المُرَكَّب (الشِّعار ما وَلِيَ الجِسْمَ من الملابس) ، هو ما أَفْلَتَ به الشاعر من ضيق الأَزْمَة إلى سعة الفَرَج ، جعلته هو الدَّعْوى المُتَفَتِّقَة عن حيلة الشاعر (الرأي ، أو الفَيْصل) .

3 دَليل ؛ فإنني لمّا وجدت دِثارَ لُبِّ المُرَكَّب (الدِّثار ما وَلِيَ الشِّعارَ من الملابس) ، هو ما رأى فيه الشاعر مِثالًا جَديرًا بالتَّمَثُّل والامْتِثال ، جعلته هو الدليل المُتَفَتِّق عن نظام حياة الشاعر (الحجة ، أو البرهان) .

وقد تتعدد في أية مثلثة منها كما تتعدد في أية قصيدة غيرها من القصار ومن الطوال جميعا ، أفكار أحد تلك الأنواع (المشكلة أو الدعوى أو الدليل) - وإن جار المُتَعَدِّد فيها على المُنْفَرِد ؛ فأخذ موضعه ، وأخرجه من عناصر المُرَكَّب - فما هي إلا وفود الخِبْرة كلما تَعَدَّدَتْ أَنْجَدَتْ وَنَفَعَتْ وأَقْنَعَتِ المتلقي برسالة المُرْسِل [45] .

جَوامِعُ وَفَوارِقُ

[15] ولقد كانت بين تلك المثلثات التي هي كل ما لزهير وأول ما عرض لي بديوان الفرزدق ، وجوه اجتماع تجلو طرفا مما في طوايا مقالة أبي عمرو من خبايا

حكمتـه ، ووجـوه افتـراق تجلـو طرفـا آخـر مـن أسـرار بقائهمـا فـي العربيـة شـاعرين كبيرين ، على النحو الآتي :

1 الأنماط العروضية (و + ق) ؛ فعلى حين اجتمعا على تمييز كل مثلثة من مثلثاتهما ، بنمط خاص - افترقا في مَجْموعَيْ أنماط مثلثاتهما [46] .

2 أنصبة الأنماط العروضية (و + ق) ؛ فعلى حين اجتمعا على أنْ لم تكن للفرزدق من نمط مثلثتيه الثالثة والخامسة ، أية قصيدة أخرى ، كما لم تكن لزهير أية قصيدة أخرى من أي نمط من أنماط مثلثاته - افترقا في أنْ كانت للفرزدق دون زهير من نمط مثلثته الأولى أربع قصائد أخرى غير مثلثات [47] ، ومن نمط مثلثته الثانية اثنتا عشرة فيها مثلثتان [48] ، ومن نمط مثلثته الرابعة أربع عشرة فيها مثلثة واحدة [49] .

3 الخصائص الوزنية (و) ؛ فعلى حين اجتمعا على أن خرجت خصائص مثلثة زهير الخامسة من مخرج خصائص ثانيته ، وأن خرجت مثلثتا الفرزدق الثانية والرابعة من مخرج أولاه - افترقا في أن حرص زهير فيما سوى ذلك دون الفرزدق ، على أن تنفرد كل مثلثة من مثلثاته بخصائص وزنية .

4 الخصائص القافوية (ق) ؛ فعلى حين اجتمعا على أن خرج روي مثلثة زهير الخامسة من مخرج روي أولاه ، ومجرى روي رابعته ووصلها من مخرج مجرى روي ثانيته ووصلها ، وأن خرجت رِواء مثلثات الفرزدق كلها وبعض مجاريها وأجزائها من مخرج واحد - افترقا في أن حرص زهير فيما سوى ذلك دون الفرزدق ، على أن تنفرد كل مثلثة من مثلثاته بخصائص قافوية .

5 الحركة العروضية ؛ فعلى حين اجتمعا على توحيد جهة الحركة صعودا من أول أبيات المثلثة إلى ثانيها فثالثها ، في أولى زهير وثانيته وثانية الفرزدق وثالثته ، وصعودا من أولها إلى ثانيها فهبوطا إلى ثالثها ، في ثالثة زهير ورابعته وخامسته وأولى الفرزدق - افترقا في إجمال حركات مثلثاتهما ؛ حتى لم تجتمع بينهما حركتا مثلثتين ، على سرعة واحدة .

6 الرسائل ؛ فعلى حين اجتمعا على رسائلهما إلى المتلقي ؛ فاتحدت بين أولى زهير وثانية الفرزدق رسالة الرّثاء ، وبين ثانية زهير ورابعة الفرزدق رسالة التَّأْديب ، وبين ثالثة زهير وأولى الفرزدق رسالة المَرَح ، وبين رابعة زهير وخامسة الفرزدق رسالة الهِجاء ، وبين خامسة زهير وثالثة الفرزدق رسالة السِّياسَة - افترقا في مقدار مثلثات كل منهما من شعره ؛ فكانت هي كل ما لزهير ، وبعض ما للفرزدق !

7 أنواع الأفكار ؛ فعلى حين اجتمعا بمركبات رسائلهما ، على ما استوفياه من أفكار المشكلات والدعاوى والأدلة ، في مثلثات زهير الأولى والرابعة والخامسة ، ومثلثات الفرزدق الثانية والثالثة والرابعة - افترقا فيما استغنى عنه زهير في مثلثته الثانية من فكرة الدليل وفي مثلثته الثالثة من فكرة

الدعوى ، وما استغنى عنه الفرزدق في مثلثته الأولى من فكرة الدعوى وفي مثلثته الخامسة من فكرة المشكلة .

8 مواضع الأنواع ؛ فعلى حين اجتمعا بأنواع أفكارهما ، على ما رتباها به في مركبات رسائل مثلثتي زهير الأولى والرابعة ، ومثلثات الفرزدق الثانية والثالثة والرابعة - افترقا فيما رتبها به زهير في مركبات رسائل مثلثاته الثانية والثالثة والخامسة ، وما رتبها به الفرزدق في مركبات رسائل مثلثتيه الأولى والخامسة .

بَيْنَ رِثائيَّتَيْهِما

[16] لقد كانت مُثَلَّثَةُ الفرزدق الثانية في رثاء أبيه غالب بن صعصعة وتأبينه ، كمُثَلَّثَة زهير الأولى التي جعلها في رثاء سنان بن أبي حارثة وتأبينه ، ولكن الفرزدق اسْتَشْكَلَ علينا (اصطنع المشكلة) في أول أبيات مثلثته هذه بفَقْد مرثيِّه ، واستدلَّ (اصطنع الدليل) في الثاني بفَضْلِ كَرَمِه ، وادَّعى (اصطنع الدعوى) في الثالث بحاجة الناس إليه - على حين استشكل زهير علينا في أول أبيات مثلثته هذه بفَقْد مَرْثيّه ، وادعى في الثاني بحاجة الناس إليه ، واستدل في الثالث بفَضْلِ نَجْدَتِه ؛ فقدم الفرزدق دليله على دعواه ، على حين قدم زهير دعواه على دليله . ربما حَمَلَ الفرزدق على ذلك أن مرثيه أبوه ، فعَجَّلَ ذكر فضله الذي يدعي أنه بقي فيه ، وربما أخلص له تلك الرؤيةَ تصعيده حركات أبياته . ثم ربما كَمَنَ وراء صنيع زهير أن المفقود من مرثيه ، إنما هو نجدته التي لا عوض عنها ، وربما أخلص له تلك الرؤيةَ كذلك تصعيده حركات أبياته - على حين كان المفقود من مرثي الفرزدق هو كرمه الذي يدعي أنه بقي فيه ؛ فالتبس الرثاء في قطعة الفرزدق بالفخر ! ولقد دلت حركة مثلثة زهير العروضية ، التي كانت قريبة من ضِعْفَيْ حركة مثلثة الفرزدق ، على اختلاف أثر الحزن في كل منهما ؛ فأما زهير فيَتَوائَبُ أَلَمًا ، وأما الفرزدق فيَتَمَطّى نُدْبَةً !

بَيْنَ تَأْديبيَّتَيْهِما

[17] ثم كانت مثلثة الفرزدق الرابعة في التأديب ، كمُثَلَّثَةِ زهير الثانية ، ولكن الفرزدق استشكل علينا في أول أبيات مثلثته هذه بالنهي عن تسرع الجاهلين ، وادعى في الثاني بوخامة عاقبة الاغترار ، واستدل في الثالث بصعوبة مسالك المقتدرين - على حين استشكل زهير علينا في أول أبيات مثلثته هذه بالنهي عن العتب على المسيئين الحاقدين ، وفي الثاني بالنهي عن التنقيب عن إساءة الحاقدين ، وادعى في الثالث بكفاية تَفَرُّسِ وُجوه الحاقدين . ولقد اسْتَصْعَبَ الفرزدق المعاني (فَتَّشَ عن صِعابِها) ، وغاصَ إليها ، على حين اسْتَسْهَلَها زهير (تناول سُهولَها) ؛ فكأنما أراد زهير النصيحة ؛ فتَمَسَّك بظاهرها ، وأراد الفرزدق الإدْلالَ والكَيْدَ ؛ فَأَلْغَزَ ، وربما

أكدت ذلك حركةُ مثلثة الفرزدق ، التي كانت أسرع من حركةِ مثلثة زهير ، وحركةُ أبياتها التي كانت ثابتة دون حركة أبيات مثلثة زهير التي زادت فيها حركة بيت الدعوى على حركة ما قبله .

بَيْنَ مَرَحيَّتَيْهما

[18] ثُمَّتَ كانت مُثَلَّثَةُ الفرزدق الأولى في المَرَح ، كمثلثة زهير الثالثة ، ولكن الفرزدق استدل في أول أبيات مثلثته هذه بتخير ألطف أوعية الخمر ، وفي الثاني بالعجلة إلى أكرم الخمر ، واستشكل علينا في الثالث بوشك الموت أو الشيب - على حين استشكل علينا زهير في أول مثلثته هذه بضَيْعَة السُّلْطان أو العرف ، واستدل في الثاني بتخير أسرع الجياد وأجلدها ، وفي الثالث بتخير أطيع الجياد وأنشطها ؛ فاتخذ الفرزدق وَشْك الموت أو الشيب ، ذريعة إلى التداوي بالقصف ، على حين اتخذ زهير ضيعة السلطان أو العرف ، ذريعة إلى التداوي بالفروسية . ولقد كان في فَرْقِ ما بين عُلوّ هِمَّةِ زهير وضَعَةِ هِمَّةِ الفرزدق ، ما يضطر الفرزدق إلى تأخير ذريعته (مشكلته) ، على حين قدم زهير ذريعته (مشكلته) ! وربما دلت زيادة حركة مثلثة زهير على صاحبتها ، على استخفاء الفرزدق بأدلته واستعلان زهير ، ولا سيما أن جِهَتَيْ حَرَكَتَيْ أبياتهما متضادتان تماما ، بين هبوط فصعود فهبوط في مثلثة زهير ، وبين صعود فهبوط فصعود في مثلثة الفرزدق !

بَيْنَ هِجائيَّتَيْهِما

[19] ثُمَّتَ كانت مُثَلَّثَةُ الفرزدق الخامسة في هجاء جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفى خصيمه الشاعر المشهور، كمثلثة زهير الرابعة التي كانت في هجاء عوف ابن شماس أحد بني عبد الله بن غطفان ، ولكن الفرزدق ادعى في أول أبيات مثلثته بشجاعة أهله وجبن أهل جرير ، واستدل في الثاني برفعة أهله وضعة أهل جرير ، وادعى في الثالث بربّانيّة رفعته ولا ذكر معها لرفعة أخرى بَلْهَ ضعة جرير - على حين استشكل زهير علينا في أول أبيات مثلثته باستنكار أن يجترئ عليه أحد ، واستدل في الثاني بأن أي مجترئ هالك أو مفتضح ، وادعى في الثالث بأن مَهْجوَّه هالك أو مفتضح . لقد استسهل الفرزدق المعاني ، وأَعْرَضَ الدعوى ، على حين استصعب زهير المعاني ، وتَعَمَّقَ إليها ، وتَحَرّى العدل ؛ فثم فرق بين إثبات زهير اسم خصيمه مشفوعا باسم أبيه ، وبين نَفْيِ الفرزدق له بكنيته التي استحدثها له ، المنسوب فيها إلى أمه ؛ فكأنما أراد الفرزدق التَّسْميع ؛ فتمسك بظاهر المعاني ، وأراد زهير التَّهْديد ؛ فَأَلْغَزَ إليها ؛ فانعكس في الهجاء الذي لهج به الفزدق ، ما كان في التأديب الذي لهج به زهير ، ولا سيما أن طبيعة تفاوت حركتي مثلثتيهما العروضيتين هنا ، عكسها هناك !

بَيْنَ سِياسيَّتَيْهِما

[20] ثُمَّتَ كانت مُثَلَّثَةُ الفرزدق الثالثة في السياسة كما كانت مثلثة زهير الخامسة ، ولكن الفرزدق استشكل علينا في أول أبيات مثلثته بإعراض العذارى ، وادعى في الثاني بتخابثهن ، واستدل في الثالث بإباء الحسرة - على حين ادعى زهير

فـي أول أبيـات مثلثتـه بخشـية أن ينـال صـاحبه سـوء ، واستشـكل علينـا فـي الثـاني بالاضطرار إلى إساءة الظن ، واستدل في الثالث بكمون النعمة في طوايا النقمة . لقد آثر الفرزدق مجاورة الأفكار بترتيبها ترتيبا منطقيا ، دون زهير الذي آثر مداخلتها - ربما أكدت ذلك جهة حركتي أبياتهما ، التي تصاعدت عند الفرزدق دون زهير - على رَغْمِ أَنَّ مُغازَلَةَ النِّساءِ أَخْبَثُ في السِّياسَةِ مِنْ مُجامَلَةِ الرِّجالِ ، وَأَحْوَجُ إلى مُصانَعَةِ الْمُداخَلَةِ ، مِنْ زِيادَةِ سُرْعَةِ الْحَرَكَةِ الْعَروضيَّةِ !

الْحِكْمَةُ بَيْنَ الْفَنِّ وَالْعِلْمِ

[21] ولقد ينبغي أن يكون من علامات حكمة أيٍّ من شاعرينا ، جَمْعُه أنواع الأفكار الثلاثة في رسالة مثلثته ؛ إذ يحمل نفسه في مَأْزِقِ الثلاثةِ الأبياتِ الضَّنْكِ ، على أن يعطي كلا منها حقه ، ويعرف له موضعه ، وهو ما لا يَتَيَسَّر ، حتى يَتَّجِهَ إليه بنصيب من عنايته التي تَسْتولي عليها طَبيعَةُ إرْثِه وأَثَرُ دُرْبَتِه .

وكأنما انتبه إلى شيء من ذلك ، زهير نفسه المعروف بالحكمة [50] ؛ فقال :

" فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُه ثَلاثٌ يَمينٌ أَوْ نِفارٌ أَوْجِلاء " [51]

إن الدعوى بمنزلة اليمين ؛ فإن مدعيها يذكر ما يراه هو لا غيره ، كما يقسم المقسم على ما يراه هو لا غيره . وإن المشكلة بمنزلة النِّفار ؛ فهي موطن اختلاف أَيْ تَنافُرٍ يحتاج إلى أن يشهده حَكَمٌ عَدْلٌ . وإن الدليل بمنزلة الجِلاء ؛ إذ يتخير المُسْتَدِلُّ ما يتجلى به رأيه [52] .

ولقد وجدت فلاسفتنا القدماء يميزون في " أمر هذه النفس وقواها " ، ثلاث القوى الآتية ، بعضها من بعض [53] :

1 التي أستخلص أنها القوة المُتَفَكِّرة ، وموطنها عندهم الدماغ ، و" بِها يَكونُ الْفِكْرُ وَالتَّمْييزُ وَالنَّظَرُ في حَقائِقِ الْأُمورِ " . ولا أرتاب في أن استشكال المشكلات على النحو السابق ، هو من مظاهر التَّفَكُّر !

2 التي أستخلص أنها القوة المُتَرَفِّعَة ، وموطنها عندهم القلب ، و" بِها يَكونُ الْغَضَبُ وَالنَّجْدَةُ وَالْإِقْدامُ عَلى الْأَهْوالِ وَالشَّوْقُ إلى التَّسَلُّطِ وَالتَّرَفُّعُ وَضُروبُ الْكَراماتِ " . ولا أرتاب في أن ادعاء الدعاوى على النحو السابق ، هو من مظاهر التَّرَفُّع !

3 التي أستخلص أنها القوة المُتَشَهِّيَة ، وموطنها الكبد ، و" بِها تَكونُ الشَّهْوَةُ وَطَلَبُ الْغِذاءِ وَالشَّوْقُ إلى الْمَلاذِّ الَّتي في الْمآكِلِ وَالْمَشارِبِ وَالْمَناكِحِ وَضُروبُ اللَّذّاتِ الْحِسّيَّةِ " . ولا أرتاب في أن الاستدلال على النحو السابق ، هو من مظاهر التَّشَهّي !

وعلى رغم ارتيابي فيما جعله علماؤنا القدماء مواطن لتلك القوى ، لا ينقضي عَجَبي مِنْ سَداد تَنْويعِهم لأنواعها !

لقد تجلى في مثلثات الفرزدق الرثائية والسياسية والتأديبية ، ما تجلى في مثلثات زهير الرثائية والهجائية والسياسية ، من الحكمة باستيفاء أنواع الأفكار ، وكان أطرف ما في هذا الاجتماع ، انعكاس رسالتي الهجاء والتأديب بينهما ؛ فقد كان

الفرزدق أولى باستيفاء أنواع الأفكار في مُرَكَّب رسالة الهجاء ، لولا تركه المشكلة ، وانبعاثه عن تشهٍّ معروف فيه ! - كما كان زهير أولى باستيفاء أنواع الأفكار في مُرَكَّب رسالة التأديب ، لولا تركه الدليل وانبعاثه عن تفكرٍ معروف فيه [54] ، " وَهذِه الثَّلاثُ (قوى النفس ، ومرادي هنا أنواع الأفكار) مُتَباينَةٌ ، وَيُعْلَمُ مِنْ ذلِكَ أَنَّ بَعْضَها إذا قَوِيَ أَضَرَّ بِالْآخَرِ ، (...) تَقْوى إحْداها وَتَضْعُفُ بِحَسَبِ الْمِزاجِ وَالْعادَةِ وَالتَّأْديبِ " [55] ، ولا سيما أن قد تعلق زهير على وجه العموم دون الفرزدق ، بتقديم المشكلة بين يدي غيرها من الأفكار ، من غير أن يلزم فيما بعدها ترتيبًا ما ؛ فدَلَّ على طرف من معنى حذقه بفنية مداخلتها ، ومراعاته لاختلاف مقاماتها ، أو كما قال هو نفسه في مثلثته الخامسة :

" لِكُلِّ مَقامٍ ذي عانٍ مَقال " !

طِوالُ زُهَيْرٍ وَالْفَرَزْدَقِ

الْمُنْطَلَقُ الْعَروضيُّ اللُّغَويُّ

[22] لَمّا انطلقت من المبدأ السابق (يُصَنَّفُ في قِصارِ قَصائِدِ كُلٍّ مِنْهُما ، ما أَبْياتُه دونَ الْمُتَوَسِّطِ ، وَفي طِوالِها ما أَبْياتُه فَوْقَ الْمُتَوَسِّطِ) ، فوجدت الطوال أقل قصائد شاعرينا ، بِنِسْبَتَيْنِ متقاربتين جدا [56] - تَمَسَّكْتُ تَدْقيقًا ، بقصر الموازنة بين طوالهما ، على طَويلَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ فَقَطْ . ثم فَتَّشْتُ في طِوالِ الفرزدق الكثيرات - وإن قاربت نسبتها في شعره نسبتها في شعر زهير ؛ فالنسبة غير العدد - حتى عثرت لطويلة زهير الثالثة (الطويلية الوافية المقبوضة العروض والضرب ، اللامية المضمومة المؤسسة الموصولة بالهاء الساكنة) ، على طويلة الفرزدق الحادية والثمانين والمئة (الطويلية الوافية المقبوضة العروض والضرب ، الرائية المضمومة المؤسسة الموصولة بالهاء الساكنة) ، التي صدر في خصائصها الوزنية ، مثلما صدر زهير ، عن تَكْرارِ ثَمانية وعشرين مقطعا معينا ، في ثماني مُرَكَّباتٍ معينة ، على النحو الآتي [57] :

1 فَـ (س ح) ، صوتان : ساكن فحركة - بمقطع قصير يجوز أن يحذف .
2 عو (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق .
3 لُنْ (س ح س) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركة فساكن ، يجوز في الساكن الثاني أن يتحرك ، وأن يحذف - بمقطع طويل مغلق ، يجوز أن يفتح ، وأن يقصر .
4 مَـ (س ح) ، صوتان : ساكن فحركة - بمقطع قصير .
5 فا (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق .
6 عيـ (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن ، وأن تحذف - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق ، وأن يقصر .

7 لُنْ (س ح س) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركة فساكن ، يجوز في الساكن الثاني أن يتحرك ، وأن يحذف - بمقطع طويل مغلق ، يجوز أن يفتح ، وأن يقصر .
8 فَـ (س ح) ، صوتان : ساكن فحركة - بمقطع قصير يجوز أن يحذف .
9 عو (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق .
10 لُنْ (س ح س) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركة فساكن ، يجوز في الساكن الثاني أن يتحرك ، وأن يحذف - بمقطع طويل مغلق ، يجوز أن يفتح ، وأن يقصر .
11 مَـ (س ح) ، صوتان : ساكن فحركة - بمقطع قصير .
12 فا (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق .
13 عيـ (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن ، وأن تحذف - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق ، وأن يقصر .
14 لُنْ (س ح س) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركة فساكن ، يجوز في الساكن الثاني أن يتحرك ، وأن يحذف - بمقطع طويل مغلق ، يجوز أن يفتح ، وأن يقصر
15 فَـ (س ح) ، صوتان : ساكن فحركة - بمقطع قصير يجوز أن يحذف .
16 عو (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق .
17 لُنْ (س ح س) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركة فساكن ، يجوز في الساكن الثاني أن يتحرك ، وأن يحذف - بمقطع طويل مغلق ، يجوز أن يفتح ، وأن يقصر .
18 مَـ (س ح) ، صوتان : ساكن فحركة - بمقطع قصير .
19 فا (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق .
20 عيـ (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن ، وأن تحذف - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق ، وأن يقصر .
21 لُنْ (س ح س) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركة فساكن ، يجوز في الساكن الثاني أن يتحرك ، وأن يحذف - بمقطع طويل مغلق ، يجوز أن يفتح ، وأن يقصر .
22 فَـ (س ح) ، صوتان : ساكن فحركة - بمقطع قصير يجوز أن يحذف .
23 عو (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق .

24 لُنْ (س ح س) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركة فساكن ، يجوز في الساكن الثاني أن يتحرك ، وأن يحذف - بمقطع طويل مغلق ، يجوز أن يفتح ، وأن يقصر .
25 مَـ (س ح) ، صوتان : ساكن فحركة - بمقطع قصير .
26 فا (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق .
27 عيـ (س ح ح) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركتان ، يجوز في الحركة الثانية أن تسكن ، وأن تحذف - بمقطع طويل مفتوح ، يجوز أن يغلق ، وأن يقصر .
28 لُنْ (س ح س) ، ثلاثة أصوات : ساكن فحركة فساكن ، يجوز في الساكن الثاني أن يتحرك - بمقطع طويل مغلق ، يجوز أن يفتح [58] .

وصدر في خصائصها القافوية ، مثلما صدر زهير ، عن لزوم ثمانية أصوات معينة ، في ثلاثة المقاطع الآخرة السابقة ، على النحو الآتي [59] :

1 ف (س) ، ساكن يكون من أي سواكن العربية ، من غير أن يلزم .
2 -ـَـِـُ (ح) ، حركة تكون من أي حركات العربية ، من غير أن تلزم إلا باعتبار ما بعدها .
3 -ـَـِـُ (ح) ، حركة تكون مثل ما قبلها ، فإذا كانتا فتحتين (ألفا) ، لزمتا ، ويجوز أن تسكن إلى أي سواكن العربية ، من غير أن يلزم .
4 ع (س) ، ساكن يكون من أي سواكن العربية ، من غير أن يلزم .
5 -ِ (ح) ، حركة تغلب عليها الكسرة .
6 ل (س) ، ساكن يكون من أي سواكن العربية ، فإذا كان لزم .
7 -ـَـِـُ (ح) ، حركة تكون من أي حركات العربية ، فإذا كانت لزمت .
8 ن (س) ، ساكن يكون من سواكن معينة ضعيفة الإسماع ، فإذا كان لزم - يجوز أن يتحرك إلى مثل ما قبله ، بحيث يمدها ؛ فيلزمان [60] .

وصدر الفرزدق في رسالتها اللغوية ، مثلما صدر زهير ، عن حال عامة غالبة ، من المَرَحِ المُرَكَّبِ من الفَرَح الذي هو بَهْجَة خالصة ، والخِفَّة التي هي حَرَكة كامِنَة ، والنَّشاط الذي هو حَرَكة ظاهرة ، والسَّوْرَة التي هي حِدَّةٌ باطِشَة [61] .

طَويلَةُ زُهَيْرٍ [62]

[23] وقد فَصَّلتها بما استوعبتها ، على النحو الآتي :

[1 : فَصْلُ الْحَسْرَةِ]

1 " صَحا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمى وَأَقْصَرَ باطِلُهْ وَعُرِّيَ أَفْراسُ الصِّبا وَرَواحِلُهْ
2 وَأَقْصَرْتُ عَمّا تَعْلَمينَ وَسُدِّدَتْ عَلَيَّ سِوى قَصْدِ السَّبيلِ مَعادِلُهْ
3 وَقالَ الْعَذارى إِنَّما أَنْتَ عَمُّنا وَكانَ الشَّبابُ كَالْخَليطِ نُزايِلُهْ
4 فَأَصْبَحْتُ ما يَعْرِفْنَ إِلّا خَليقَتي وَإِلّا سَوادَ الرَّأْسِ وَالشَّيْبُ شامِلُهْ

[2 : فَصْلُ الْبَيْنِ]

5 لِمَنْ طَلَلٌ كَالْوَحْيِ عافٍ مَنازِلُهْ عَفا الرَّسُّ مِنْه فَالرُّسَيْسُ فَعاقِلُهْ
6 فَرَقْدٌ فَصاراتٌ فَأُكْنافُ مَنْعِجٍ فَشَرْقِيُّ سَلْمى حَوْضُه فَأَجاوِلُهْ
7 فَوادي الْبَديِّ فَالطَّوِيُّ فَثادِقٌ فَوادي الْقَنانِ جِزْعُه فَأَفاكِلُهْ

[3 : فَصْلُ الطَّرَدِ]

8 وَغَيْثٍ مِنَ الْوَسْميِّ حوٍّ تِلاعُه أَجابَتْ رَوابيهِ النِّجا وَهَواطِلُهْ
9 هَبَطْتُ بِمَمْسودِ النَّواشِرِ سابِحٍ مُمَرٍّ أَسيلِ الْخَدِّ نَهْدٍ مَراكِلُهْ
10 تَميمٍ فَلَوْناه فَأُكْمِلَ صُنْعُه فَتَمَّ وَعَزَّتْه يَداهُ وَكاهِلُهْ
11 أَمينٍ شَظاه لَمْ يُخَرَّقْ صِفاقُه بِمِنْقَبَةٍ وَلَمْ تُقَطَّعْ أَباجِلُهْ
12 إِذا ما غَدَوْنا نَبْتَغي الصَّيْدَ مَرَّةً مَتى نَرَه فَإِنَّنا لا نُخاتِلُهْ
13 فَبَيْنا نُبَغّي الصَّيْدَ جاءَ غُلامُنا يَدِبُّ وَيُخْفي شَخْصَه وَيُضائِلُهْ
14 فَقالَ شِياهٌ راتِعاتٌ بِقَفْرَةٍ بِمُسْتَأْسِدِ الْقُرْيانِ حوٍّ مَسائِلُهْ
15 ثَلاثٌ كَأَقْواسِ السَّراءِ وَمِسْحَلٌ قَدِ اخْضَرَّ مِنْ لَسِّ الْغَمير جَحافِلُهْ
16 وَقَدْ خَرَّمَ الطِّرّادُ عَنْه حِجاشَه فَلَمْ يَبْقَ إِلّا نَفْسُه وَحَلائِلُهْ
17 فَقالَ أَميري ما تَرى رَأْيَ ما نَرى أَنَخْتِلُه عَنْ نَفْسِه أَمْ نُصاوِلُهْ
18 فَبِتْنا عُراةً عِنْدَ رَأْسِ جَوادِنا يُزاوِلُنا عَنْ نَفْسِه وَنُزاوِلُهْ
19 وَنَضْرِبُه حَتّى اطْمَأَنَّ قَذالُه وَلَمْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُه وَخَصائِلُهْ
20 وَمُلْجِمُنا ما إِنْ يَنالُ قَذالَه وَلا قَدَماهُ الْأَرْضَ إِلّا أَنامِلُهْ
21 فَلَأْيًا بِلَأْيٍ ما حَمَلْنا وَلِيدَنا عَلى ظَهْرِ مَحْبوكٍ ظِماءٍ مَفاصِلُهْ
22 وَقُلْتُ لَه سَدِّدْ وَأَبْصِرْ طَريقَه وَما هُوَ فيه عَنْ وَصاتي شاغِلُهْ
23 وَقُلْتُ تَعَلَّمْ أَنَّ لِلصَّيْدِ غِرَّةً وَإِلّا تُضَيِّعْها فَإِنَّكَ قاتِلُهْ
24 فَتَتَبَّعَ آثارَ الشِّياهِ وَلِيدُنا كَشُؤْبوبِ غَيْثٍ يَحْفِشُ الْأُكْمَ وابِلُهْ
25 نَظَرْتُ إِلَيْه نَظْرَةً فَرَأَيْتُه عَلى كُلِّ حالٍ مَرَّةً هُوَ حامِلُهْ
26 يُثِرْنَ الْحَصى في وَجْهِه وَهْوَ لاحِقٌ سِراعٌ تَواليه صِيابٌ أَوائِلُهْ
27 فَرَدَّ عَلَيْنا الْعَيْرَ مِنْ دونِ إِلْفِه عَلى رُغْمِه يَدْمى نَساه وَفائِلُهْ
28 فَرُحْنا بِه يَنْضو الْجِيادَ عَشِيَّةً مُخَضَّبَةً أَرْساغُه وَعَوامِلُهْ
29 بِذي مَيْعَةٍ لا مَوْضِعُ الرُّمْحِ مُسْلِمٌ لِبُطْءٍ وَلا ما خَلْفَ ذلِكَ خاذِلُهْ

[4 : فَصْلُ الْكَمالِ]

30 وَأَبْيَضَ فَيّاضٍ يَداه غَمامَةٌ عَلى مُعْتَفيه ما تُغِبُّ فَواضِلُهْ
31 بَكَرْتُ عَلَيْه غُدْوَةً فَرَأَيْتُه قُعودًا لَدَيْه بِالصَّريمِ عَواذِلُهْ
32 يُفَدّينَه طَوْرًا وَطَوْرًا يَلُمْنَه وَأَعْيا فَما يَدْرينَ أَيْنَ مَخاتِلُهْ
33 فَأَقْصَرْنَ مِنْه عَنْ كَريمٍ مُرَزَّإٍ عَزومٍ عَلى الْأَمْرِ الَّذي هُوَ فاعِلُهْ
34 أَخي ثِقَةٍ لا تُتْلِفُ الْخَمْرُ مالَه وَلكِنَّه قَدْ يُهْلِكُ الْمالَ نائِلُهْ
35 تَراه إِذا ما جِئْتَه مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطيهِ الَّذي أَنْتَ سائِلُهْ
36 وَذي نَسَبٍ ناءٍ بَعيدٍ وَصَلْتُه بِمالٍ وَما يَدْري بِأَنَّكَ واصِلُهْ

37 وَذي نِعْمَةٍ تَمَّمْتَها وَشَكَرْتَها وَخَصْمٍ يَكادُ يَغْلِبُ الْحَقَّ باطِلُهْ
38 دَفَعْتَ بِمَعْروفٍ مِنَ الْقَوْلِ صائِبٍ إِذا ما أَضَلَّ النّاطِقينَ مَفاصِلُهْ
39 وَذي خَطَلٍ في الْقَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّه مُصيبٌ فَما يُلْمِمْ بِه فَهْوَ قائِلُهْ
40 عَبَأْتَ لَه حِلْمًا وَأَكْرَمْتَ غَيْرَه وَأَعْرَضْتَ عَنْه وَهْوَ بادٍ مَقاتِلُهْ
41 حُذَيْفَةُ يُنْميه وَبَدْرٌ كِلاهُما إِلى باذِخٍ يَعْلو عَلى مَنْ يُطاوِلُهْ
42 وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ في الْحُروبِ وَمِثْلُه لِإِنْكارِ ضَيْمٍ أَوْ لِأَمْرٍ يُحاوِلُهْ
43 أَبى الضَّيْمَ وَالنُّعْمانُ يَحْرِقُ نابُه عَلَيْه فَأَفْضى وَالسُّيوفُ مَعاقِلُهْ
44 عَزيزٌ إِذا حَلَّ الْحَليفانِ حَوْلَه بِذي لَجَبٍ لَجّاتُه وَصَواهِلُهْ
45 يُهَدُّ لَه ما دونَ رَمْلَةِ عالِجٍ وَمَنْ أَهْلُه بِالْغَوْرِ زالَتْ زَلازِلُهْ

[5 : فَصْلُ النَّقْصِ]

46 وَأَهْلِ خِباءٍ صالِحٍ ذاتُ بَيْنِهِمْ قَدِ احْتَرَبوا في عاجِلٍ أَنا آجِلُهْ
47 فَأَقْبَلْتُ في السّاعينَ أَسْأَلُ عَنْهُم سُؤالَكَ بِالشَّيْءِ الَّذي أَنْتَ جاهِلُهْ "

طَويلَةُ الْفَرَزْدَقِ

[24] وقد فَصَّلتها كذلك بما استوعبتها ، على النحو الآتي :

[1 : فَصْلُ الْحَسْرَةِ الْأولى]

1 " أَلا مَنْ لِشَوْقٍ أَنْتَ بِاللَّيْلِ ذاكِرُهْ وَإِنْسانِ عَيْنٍ ما يُغَمِّضُ عائِرُهْ
2 وَرَبْعٍ كَجُثْمانِ الْحَمامَةِ أَدْرَجَتْ عَلَيْهِ الصَّبا حَتّى تَنَكَّرَ داثِرُهْ
3 بِه كُلُّ ذَيّالِ الْعَشِيِّ كَأَنَّه هِجانٌ دَعَتْه لِلْجُفورِ فَوادِرُهْ
4 خَلا بَعْدَ حَيٍّ صالِحينَ وَحَلَّه نَعامُ الْحِمى بَعْدَ الْجَميعِ وَباقِرُهْ
5 بِما قَدْ نَرى لَيْلى وَلَيْلى مُقيمَةٌ بِه في خَليطٍ لا تَناتى حَرائِرُهْ
6 فَغَيَّرَ لَيْلى الْكاشِحونَ فَأَصْبَحَتْ لَها نَظَرٌ دوني مُريبٌ تَشازُرُهْ

[2 : فَصْلُ الْحَيْرَةِ]

7 أَراني إِذا ما زُرْتُ لَيْلى وَبَعْلَها تَلَوّى مِنَ الْبَغْضاءِ دوني مَشافِرُهْ
8 وَإِنْ زُرْتُها يَوْمًا فَلَيْسَ بِمُخْلِفي رَقيبٌ يَراني أَوْ عَدُوٌّ أُحاذِرُهْ
9 كَأَنَّ عَلى ذي الطِّنْءِ عَيْنًا بَصيرَةً بِمَقْعَدِه أَوْ مَنْظَرٍ هُوَ ناظِرُهْ
10 يُحاذِرُ حَتّى يَحْسِبَ النّاسَ كُلَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ لا تَخْفى عَلَيْهِمْ سَرائِرُهْ

[3 : فَصْلُ الْبَيْنِ]

11 غَدا الْحَيُّ مِنْ بَيْنِ الْأُعَيْلامِ بَعْدَما جَرى حَدَبُ الْبُهْمى وَهاجَتْ أَعاصِرُهْ
12 دَعاهُمْ لِسيفِ الْبَحْرِ أَوْ بَطْنِ حائِلٍ هَوًى مِنْ نَوى حَيٍّ أُمِرَّتْ مَرابِرُهْ
13 غَدَوْنَ بِرَهْنٍ مِنْ فُؤادي وَقَدْ غَدَتْ بِه قَبْلَ أَتْرابِ الْجَنوبِ تُماضِرُهْ

[4 : فَصْلُ الْحَسْرَةِ الْآخِرَةِ]

14 تَذَكَّرْتُ أَتْرابَ الْجَنوبِ وَدونَها مَقاطِعُ أَنْهارٍ دَنَتْ وَقَناطِرُهْ
15 حَواريَّةٌ بَيْنَ الْفُراتَيْنِ دارُها لَها مَقْعَدٌ عالٍ بَرودٌ هَواجِرُهْ
16 تَساقَطُ نَفْسي إِثْرَهُنَّ وَقَدْ بَدا مِنَ الْوَجْدِ ما أُخْفي وَصَدْري مُخامِرُهْ

17 إذا عَبْرَةٌ وَرَّعْتُها فَتَكَفْكَفَتْ قَليلًا جَرَتْ أُخْرى بِدَمْعٍ تُبادِرُهْ
18 فَلَوْ أَنَّ عَيْنًا مِنْ بُكاءٍ تَحَدَّرَتْ دَمًا كانَ دَمْعي إِذْ رِدائيَ ساتِرُهْ
19 مَتى ما يَمُتْ عانيكِ يا لَيْلَ تَعْلَمي مُصابَةَ ما يُسْدي لِعانيكِ نائِرُهْ
20 تَرَيْ خَطَأً مِمّا ائْتَمَرْتِ وَتَضْمَني جَريرَةَ مَوْلًى لا يُغَمِّضُ ثائِرُهْ
21 فَلَمْ يَبْقَ مِنْ عانيكِ إلا بَقِيَّةٌ شَفًا كَجَناحِ النَّسْرِ مُرِّطَ سائِرُهْ
22 أَلا هَلْ لِلَيْلى في الْفِداءِ فَإِنَّني أَرى رَهْنَ لَيْلى لا تُبالى أَواصِرُهْ
23 لَعَمْري لَئِنْ أَصْبَحْتُ في السَّيْرِ قاصِدًا لَقَدْ كانَ يَحْلَوْلي لِعَيْنِيَ جائِرُهْ [64]

[5 : فَصْلُ الطَّرَدِ]

24 وَجَوْنٍ عَلَيْهِ الْجِصُّ فيه مَريضَةٌ تَطَلَّعُ مِنْهُ النَّفْسُ وَالْمَوْتُ حاضِرُهْ
25 حَليلَةُ ذي أَلْفَيْنِ شَيْخٍ يَرى لَها كَثيرَ الَّذي يُعْطي قَليلًا يُحاقِرُهْ
26 نَهى أَهْلَه عَنْها الَّذي يَعْلَمونَه إِلَيْها وَزالَتْ عَنْ رَجاها ضَرائِرُهْ
27 أَتَيْتُ لَها مِنْ مُخْتِلٍ كُنْتُ أَدَّري بِه الْوَحْشَ ما يُخْشى عَلَيَّ عَواثِرُهْ
28 فَما زِلْتُ حَتّى أَصْعَدَتْني حِبالُها إِلَيْها وَلَيْلي قَدْ تَخامَصَ آخِرُهْ
29 فَلَمّا اجْتَمَعْنا في الْعَلالِيِّ بَيْنَنا ذَكيٌّ أَتى مِنْ أَهْلِ دارينَ تاجِرُهْ
30 نَقَعْتُ غَليلَ النَّفْسِ إِلّا لُبانَةً أَبَتْ مِنْ فُؤادي لَمْ تَرِمْها ضَمائِرُهْ
31 فَلَمْ أَرَ مَنْزولًا بِه بَعْدَ هَجْعَةٍ أَلَذَّ قِرًى لَوْلا الَّذي قَدْ نُحاذِرُهْ
32 أُحاذِرُ بَوّابَيْنِ قَدْ وُكِّلا بِها وَأَسْمَرَ مِنْ ساجٍ تَئِطُّ مَسامِرُهْ
33 فَقُلْتُ لَها كَيْفَ النُّزولُ فَإِنَّني أَرى اللَّيْلَ قَدْ وَلّى وَصَوَّتَ طائِرُهْ
34 فَقالَتْ أَقاليدُ الرِّتاجَيْنِ عِنْدَه وَطَهْمانُ بِالْأَبْوابِ كَيْفَ تُساوِرُهْ
35 أَبِالسَّيْفِ أَمْ كَيْفَ التَّسَنّي لِموثَقٍ عَلَيْه رَقيبٌ دائِبُ اللَّيْلِ ساهِرُهْ
36 فَقُلْتُ ابْتَغي مِنْ غَيْرِ ذاكِ مَحالَةً وَلِلْأَمْرِ هَيْئاتٌ تُصابُ مَصادِرُهْ
37 لَعَلَّ الَّذي أَصْعَدْتِني أَنْ يَرُدَّني إِلى الْأَرْضِ إِنْ لَمْ يَقْدُرِ الْحَيْنَ قادِرُهْ
38 فَجاءَتْ بِأَسْبابٍ طِوالٍ وَأَشْرَفَتْ قَسيمَةُ ذي زَوْرٍ مَخوفٍ تَراتِرُهْ
39 أَخَذْتُ بِأَطْرافِ الْحِبالِ وَإِنَّما عَلَى اللهِ مِنْ عَوْصِ الْأُمورِ مَياسِرُهْ
40 فَقُلْتُ اقْعُدا إِنَّ الْقِيامَ مَزِلَّةٌ وَشُدّا مَعًا بِالْحَبْلِ إِنّي مُخاطِرُهْ
41 إِذا قُلْتُ قَدْ نِلْتُ الْبَلاطَ تَذَبْذَبَتْ حِبالِيَ مِنْ نيقٍ مَخوفٍ مَخاصِرُهْ
42 مُنيفٍ تَرى الْعِقْبانَ تَقْصُرُ دونَه وَدونَ كُبَيْداتِ السَّماءِ مَناظِرُهْ
43 فَلَمّا اسْتَوَتْ رِجْلايَ في الْأَرْضِ نادَتا أَحَيٌّ يُرَجّى أَمْ قَتيلٌ نُحاذِرُهْ
44 فَقُلْتُ ارْفَعوا الْأَسْبابَ لا يَشْعُروا بِنا وَوَلَّيْتُ في أَعْجازِ لَيْلٍ أُبادِرُهْ
45 هُما دَلَّتاني مِنْ ثمانينَ قامَةً كَما انْقَضَّ بازٍ أَقْتَمُ الرّيشِ كاسِرُهْ
46 فَأَصْبَحْتُ في الْقَوْمِ الْجُلوسِ وَأَصْبَحَتْ مُغَلَّقَةً دوني عَلَيْها دَساكِرُهْ
47 وَباتَتْ كَدَوْداةِ الْجَواري وَبَعْلُها كَثيرٌ دَواعي بَطْنِه وَقَراقِرُهْ
48 وَيَحْسَبُها باتَتْ حَصانًا وَقَدْ جَرَتْ لَنا بُرَتاها بِالَّذي أَنا شاكِرُهْ
49 فَيا رَبِّ إِنْ تَغْفِرْ لَنا لَيْلَةَ النَّقا فَكُلُّ ذُنوبي أَنْتَ يا رَبِّ غافِرُهْ " .

جَوامِعُ وَفَوارِقُ

[25] لقد عَمِلَتْ عَمَلَها في الفصل الأول ، سَوْرَةُ مَرَحِ الفرزدق ؛ فاستشكل علينا بالحسرة على تبدل ما بينه وبين حبيبته ، وانقلاب الوصال فراقا والوفاق شقاقا - ثم عَمِلَتْ عَمَلَها في الفصل الثاني ، خِفَّةُ مَرَحِه ؛ فادَّعى بالحَيْرَة في زيارة حبيبته المتزوجة ؛ فإنه إذا شهده زوجها آذته عقارب بغضائه ، وإذا غاب نابت عنه في ذلك الظنون - ثم عَمِلَتْ عَمَلَها في الفصل الثالث كذلك ، خِفَّةُ مَرَحِه ؛ فادعى بيْنَ حبيبته المضطرة إلى صُحْبة حَيّها الراحلين إلى ما يُخْيِيهم - ثم عَمِلَتْ عَمَلَها في الفصل الرابع كذلك ، سَوْرَةُ مَرَحِه ؛ فاستشكل علينا بالحسرة على انقطاع ما بينه وبين حبيبته البعيدة ، واضطراره إلى الرضا بالعجز عنها - ثم عَمِلَ عَمَلَه في الفصل الخامس ، نَشاطُ مَرَحِه ؛ فاستدل بطَرَدِ صَيْدٍ من نساء غيره ، طَرَدَه ليلا وحيدا راجلا ؛ حتى تَمَكَّنَ منه !

ذاك على حين عَمِلَتْ عَمَلَها في الفصل الأول ، سَوْرَةُ مَرَحِ زهير ؛ فاستشكل علينا بالحسرة على ذهاب شبابه ، والسَّخَر مما جلبه له شيبه من أخلاق كريمة اضطره إليها ضعفه - ثم عَمِلَتْ عَمَلَها في الفصل الثاني ، خِفَّةُ مَرَحِه ؛ فادعى بيْنَ حبيبته بندب أطلال منازلها المبتلاة برحيلها عنها هي وأهلها ، منزلا منزلا - ثم عَمِلَ عَمَلَه في الفصل الثالث ، نَشاطُ مَرَحِه ؛ فاستدل بطَرَد صَيْدٍ من حُمُر الوحش ، طَرَدَه نهارًا هو وصَحْبُه وخَدَمُهم على خيولهم ؛ حتى تَمَكَّنوا منه - ثم عَمِلَ عَمَلَه في الفصل الرابع ، فَرَحُ مَرَحِه ؛ فاستدل بانتجاع أحد المتأصلين في الكرم ، الذين لا يتحولون عن الأخلاق الكريمة ، ولا يقبلون الأخلاق اللئيمة - ثم عَمِلَتْ عَمَلَها في الفصل الخامس كذلك ، سَوْرَةُ مَرَحِه ؛ فاستدل باتهام نفسه بالفساد والإفساد والمكر والخداع !

ولم ينخلع شاعرانا في تأسيس حركتي طويلتيهما العروضيتين ، ورسالتيهما اللغويتين ، مما أصّلاه في مثلثاتهما [65] ، بل استمرت بين طويلتيهما كما كانت بين مثلثاتهما ، وجوه الاجتماع التي تجلو طرفا مما في طوايا مقالة أبي عمرو من خبايا حكمته ، ووجوه الافتراق التي تجلو طرفا آخر من أسرار بقائهما في العربية شاعرين كبيرين ، ولكن على النحو الآتي :

الْمَقاطِعُ الْقَصيرَةُ

[26] لقد اجتمع شاعرانا فيها على عشرة مقاطع (1 ، 4 ، 8 ، 11 ، 13 ، 15 ، 18 ، 22 ، 25 ، 27) ، لم تقع في طويلتيهما كلتيهما إلا قصيرة - وافترقا في ستة مقاطع ؛ وقعت ثلاثة منها (3 ، 10 ، 24) ، قصيرة بزحافها (القَبْضِ) في طويلة زهير أكثر منها في طويلة الفرزدق ، ووقع اثنان منها (6 ، 20) ، قصيرين في طويلة زهير دون طويلة الفرزدق ، ووقع واحد منها (17)، قصيرا في طويلة الفرزدق أكثر منه في طويلة زهير .

لقد زاد التقصير في مقاطع طويلتيهما ، على الفتح ، وعلى الإغلاق ، وعبرت زيادته عن سرعة الحركة الظاهرة على حال المرح العامة الغالبة ، وكان أزيد في

مقاطع زهير منه في مقاطع الفرزدق ؛ حتى لقد تَدَسَّسَ من مقاطع زهير إلى مقاطع لم يُصِبْ مثلها من مقاطع الفرزدق ، كما في قوله :

فَوادي الْبَديِّ فَالطَّوِيُّ فَثادِقٌ فَوادي الْقَنانِ جِزْعُه فَأَفاكِلُهْ

الذي قبض فيه " مفاعيلن " الثانية والسادسة - وهو ما لم يقع للفرزدق - مع قبضه الثالثة والرابعة والسابعة والثامنة ؛ فأوحى فيه بسرعة انتقال حبيبته عن الأماكن ، وكأنما كان يتتبعها !

ثم تَصاعَدَ ظُهورُ القِصَر باضطراب قليل ، في فصول طويلة زهير ؛ فلاءمَ تَرْتيبَه المَنْطِقيَّ لأنواع أفكاره ، وتهابط باضطراب قليل كذلك ، في فصول طويلة الفرزدق ؛ فلاءم تَرْتيبَه غير المنطقي لأنواع أفكاره .

الْمَقاطِعُ الطَّويلَةُ

[27] لقد اجتمع شاعرانا في المفتوحة منها ، على مقطع (26) ، لم يقع في طويلتيهما كلتيهما إلا مفتوحا - وافترقا في ستة عشر مقطعا ؛ وقعت تسعة منها (3 ، 5 ، 6 ، 7 ، 12 ، 14 ، 16 ، 19 ، 23) ، مفتوحة في طويلة زهير أكثر منها في طويلة الفرزدق ، ووقعت سبعة منها (2 ، 9 ، 10 ، 17 ، 20 ، 21 ، 24) ، مفتوحة في طويلة الفرزدق أكثر منها في طويلة زهير .

واجتمعا في المغلقة منها ، على مقطع واحد (28) ، لم يقع في طويلتيهما إلا مغلقا - وافترقا في ستة عشر مقطعا ؛ وقعت خمسة منها (2 ، 9 ، 17 ، 21 ، 24) ، مغلقة في طويلة زهير أكثر منها في طويلة الفرزدق ، ووقع أحد عشر منها (3 ، 5 ، 6 ، 7 ، 10 ، 12 ، 14 ، 16 ، 19 ، 20 ، 23) ، مغلقة في طويلة الفرزدق أكثر منها في طويلة زهير .

لقد نقصت الإطالة في مقاطع طويلتيهما ، عن التقصير - وكان الفتح فيها أنقص من الإغلاق - وعبر نقصها عن إزالة عوائق سرعة الحركة من طريق حال المرح العامة الغالبة ، وكان أنقص في مقاطع زهير منه في مقاطع الفرزدق .

لقد عبر واقع تلك المقاطع في طويلتي شاعرينا ، عن حقيقة حضورها اللغوي ؛ فلا ريب في أن منافذ التقصير أكثر من منافذ الإطالة - ولا سيما أن الثلاثي المجرد أغلب على العربية - ومنافذ الإغلاق أكثر من منافذ الفتح - ولا سيما أن الصحيح أغلب على العربية من المعتل .

ولكنه ينبغي أن يعبر ذوق الشاعر الكبير الذي يتجاوز حدود اللغة العامة ، إلى لغة خاصة ، عن حضور كل نوع من أنواع تلك المقاطع في وعيه ؛ فعلى رغم قرابة الفتح من التقصير بكونه مدا له ، يقع زمان الإغلاق في منزلة بين زمان التقصير وزمان الفتح !

مَجاميعُ الْمَقاطِعِ (التَّفاعيلُ) الْمُطابَقَةُ

[28] جعَل ابن رشيق من باب التقسيم ، تقطيع كَلِمِ البيت على مقادير تفاعيله ، فتؤدي الكلمةُ والكلمتان بعد الكلمة والكلمتين ، التفعيلةَ والتفعيلتين بعد التفعيلة

والتفعيلتين ؛ فيَظْهَرُ بعضُها ببعض ، حتى إذا ما وقع بينها السجع ، خرج التقطيع إلى التصريع الذي لم يكثر منه القدماء خَشْيَةَ التَّكَلُّفِ [66] - فذهب الدكتور عبد الله الطيب - رحمه الله ! - يشقق أفكاره ؛ فاستظهر أن التقسيم تَجْزِئَةُ البيت بحسب مواقف اللسان ، تَجْزِئَةً خَفِيَّةً كأنها اختياريَّةٌ ، سماها " التَّقْسيمَ الْخَفِيَّ " ، وتَجْزِئَةً واضحةً كأنَّها اضطراريَّةٌ ، سماها " التَّقْسيمَ الْواضِحَ " ، ثم ذهب يُنَوِّعُ أنواع التقسيم الواضح [67] ؛ فوجدت في " التقسيم الخفي " الاختياريّ (مُطابَقَةِ التَّفاعيلِ بِالْكَلِمِ مُطْلَقًا) ، الذي أَعْرَضَ عن ضبط أنواعه ، إلى ضبط أنواع " التقسيم الواضح " - مَجْلى سَرِيرَتَيْ شاعرَيْنا ، النَّصّيَّتَيْنِ العَروضيَّتَيْنِ !

لقد اجتمعا في التفاعيل المطابَقَة ، بطويلتيهما وفصليهما الثالثين ، على نسبتين متطابقتين تقريبا ، وبتفعيلتيهما الرابعة (العروض) والثامنة (الضرب) ، على نسبتين متميزتين - وافترقا في نسب سائر الفصول والتفاعيل ، وفي تشبيه زهير دون الفرزدق للتفعيلة الأولى بالتفعيلتين الرابعة والثامنة ، فصدرا عن سَرِيرَتَيْنِ نَصّيَّتَيْنِ عَروضيَّتَيْنِ ، مُتَلاقِيَتَيْنِ غَيْرِ مُتَنافِيَتَيْنِ ، أردت أن أرسمهما للفقرة الآتية ؛ فاحتجت في بيان حركة مطابقات التفاعيل ، إلى بيان حركة مقاطع المجاميع (التفاعيل) [68] .

تَوالي مَقاطِعِ المَجاميعِ (التَّفاعيلِ) ، وَتوالي مُطابقاتِها

[29] لقد اجتمعَ شاعرانا على منهج تحريك التقصير بين تفاعيل البيت (صعود في 1 ، فهبوط إلى 2 ، فصعود إلى 3 ، فصعود إلى 4 ، فهبوط إلى 5 ، فهبوط إلى 6 ، فصعود إلى 7 ، فصعود إلى 8) ، وعلى منهج تحريك الفتح (هبوط في 1 ، فصعود إلى 2 ، فهبوط إلى 3 ، فصعود إلى 4 ، فهبوط إلى 5 ، فصعود إلى 6 ، فهبوط إلى 7 ، فصعود إلى 8) - وافترقا في خطوة واحدة من منهج تحريك الإغلاق (هبوط في 1 ، فصعود من 1 إلى 2 ، فهبوط إلى 3 ، فهبوط إلى 4 ، فصعود إلى 5 - كانت الحركة في هذه التفعيلة من طويلة الفرزدق إلى هبوط - فصعود إلى 6 ، فهبوط إلى 7 ، فصعود إلى 8) وفي خطوة واحدة من منهج تحريك المطابقة (صعود في 1 ، فهبوط إلى 2 ، فصعود إلى 3 ، فصعود إلى 4 ، فهبوط إلى 5 ، فهبوط إلى 6 - ولا وجود للمطابقة في هذه التفعيلة من طويلة الفرزدق ، ويجوز أن يقوم العَدَمُ مقام الهبوط ! - فصعود إلى 7 ، فصعود إلى 8) .

وينبغي التنبيه أولا ، على علاقة منهج شاعرينا في تحريك التقصير ، بمنهجهما في تحريك المطابقة ؛ فقد اتفقت حركات كل منهما في الفصول ، صعودا وهبوطا .

إنه على رغم ملاءمة التقصير لسرعة الحركة الظاهرة على حال المرح العامة الغالبة ، تظل المطابقة كفيلة بكفكفة شأو تلك السرعة ؛ فإن الكلمة الكتابية إذا طابقت التفعيلة ، دلت على قصد الشاعر إلى تقطيع الأداء ، وإغراء المتلقي به ، وفي التقطيع من اسمه التَّمَهُّلُ على رؤوس الطبائق ، وعندئذ يعالج أي منهما متى شاء ، مواطن التقصير السريعة الحركة .

لقد قال زهير في إقباله على صيده :

هَبَطْتُ بِمَمْسودِ النَّواشِرِ سابِحٍ مُمَرٍّ أَسيلِ الْخَدِّ نَهْدٍ مَراكِلُهْ

وقال الفرزدق في إقباله على صيده :

أَتَيْتُ لَها مِنْ مُخْتِلٍ كُنْتُ أَدَّري بِه الْوَحْشَ ما يُخْشى عَلَيَّ عَواثِرُهْ

فقَصَّرَ الفرزدق من أولى تفاعيل بيته ، ورابعتها ، وسابعتها ، وثامنتها ، إلى ما فيها من قصر - كما قصر زهير من أولى تفاعيل بيته ، وثالثتها ، ورابعتها ، وثامنتها ، إلى ما فيها من قصر . ثم طابق الفرزدق بكلماته الكتابيات الثلاث " أَتَيْتُ ، عَلَيَّ ، عَواثِرُهْ " ، تفعيلاته الأولى ، والسابعة ، والثامنة - كما طابق زهير بكلماته الكتابيات الثلاث " هَبَطْتُ ، مُمَرٍّ ، مَراكِلُهْ " ، تفعيلاته الثلاث الأولى ، والخامسة ، والثامنة .

إن المطابقة تعلق التفعيلة بالكلمة من بعد أن كانت التفاعيل ذائبةً مقاطعُها بعضُها في بعض ؛ فتؤهل التفعيلة لتأخذ من خصائص الكلمة ؛ فكما تتميز الكلمة التي أدتها مما قبلها ومما بعدها كثيرا ، بتَمَهُّلٍ ما ، تتميز التفعيلة مما قبلها ومما بعدها ، متى شاء الشاعر والمتلقي أحدهما أو كلاهما . ولقد قال الدكتور عبد الله الطيب : " لعل حرص المحدثين على الزخرفة والتوازن ، أن يشرح لنا ما كادوا يجمعون عليه من تجنب الزحاف في الوزن على خلاف عادة الجاهليين ؛ فالزحاف المحكم يزيد الجرس إحكاما ، ويكسبه زيادة في الدندنة ، بما يضيف إليه من عنصر التنويع . ولكنه يقدح في هندسة البيت ، ويخل من توازنه ، والذي ركبت في نفسه نزعة المعادلة والتوازن ينفر منه ويأباه . وهكذا فعل المحدثون فيما عدا أمثلة نادرة سنعرض لها " [69] ؛ ففهم تلك الحقيقة النصية العروضية ، من دون أن ينبه على حيلة القدماء السابقة ، في معالجة سرعة الحركة (الدندنة) !

إنه عمل لطيف جدا ، من خبايا صناعة الشاعر الخبير للمتلقي الجدير ، يستعمله أي منهما متى خشي على الوزن ، وسواء أكان في تفعيلة الكلمة الكتابية ، أم فيما قبلها ، أم فيما بعدها ؛ فالبيت دورة لحنية واحدة ، تصطخب فيها الأنغام ؛ حتى يستقر بها قرار القافية .

ثم ينبغي التنبيه آخرا ، على تناسق حركات فتح المقاطع عند شاعرينا ، من تفعيلة في البيت إلى تفعيلة ؛ فقد تبين أن المقطع المفتوح أظهر من غيره ، وكأنما خشي شاعرانا إذا تركا للفتح أن يتحرك بين التفاعيل ، أن يخالف بها إلى الاختلال ؛ فناوبا بين الصعود والهبوط .

لقد قال زهير :

صَحا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمى وَأَقْصَرَ باطِلُهْ وَعُرِّيَ أَفْراسُ الصِّبا وَرَواحِلُهْ

وقال الفرزدق :

أَلا مَنْ لِشَوْقٍ أَنْتَ بِاللَّيْلِ ذاكِرُهْ وَإِنْسانِ عَيْنٍ ما يُغَمِّضُ عائِرُهْ

فنبها منذ المطلع ، على طرف مما سينتهجانه من المناوبة في تحريك فتح المقاطع ؛ فأما زهير فأخلى تفعيلاته الأولى والثالثة والخامسة ، من المقاطع المفتوحة ، وجعلها في الثانية والرابعة والسادسة والسابعة والثامنة - وأما الفرزدق فأخلى

تفعيلاته الثانية والثالثة والسادسة والسابعة ، من المقاطع المفتوحة ، وجعلها في الأولى والرابعة والخامسة والثامنة !

جُزْءُ الْقافِيَةِ الْأَوَّلُ

[30] لقد اجتمع شاعرانا فيه على خمسة عشر صوتا ساكنا (و ، ع ، ش ، ج ، ر ، ك ، ب ، خ ، س ، ح ، ص ، ن ، ق ، ط ، ء) - وافترقا في عشرة ، انفرد زهير منها بأربعة (ز ، ف ، ض ، ل) ، وانفرد الفرزدق بستة (د ، م ، ث ، ت ، ي ، غ) ، ثم كان الواو أكثر عند زهير ، وكان الراء والسين المتساويان ، أكثر عند الفرزدق .

لقد أصغى الفرزدق في كلمة القافية أكثر من زهير ، لإيقاع صِيَغ من جموع المُنْتَهى (فَعائِلُهْ = حَرائِرُهْ ، سَرائِرُهْ ، مَرايِرُهْ ، ضَرائِرُهْ ، فَعالِلُهْ = تَراتِرُهْ ، قَراقِرُهْ) ، يشتمل كل مفرد من مفرداتها على راءين في عينه ولامه (فُعْلَة = حُرَّة ، فَعيلَة = سَريرَة ، مَريرَة ، فَعْلَة = ضَرَّة ، فَعْلَلَة = تَرْتَرَة ، قَرْقَرَة) - بما أصغى زهير فيها أكثر من الفرزدق ، لإيقاع صيغة جمع من صِيَغ جموع المُنْتَهى (فَواعِلُهْ = رَواحِلُهْ ، هَواطِلُهْ ، عَوامِلُهْ ، فَواضِلُهْ ، عَواذِلُهْ ، صَواهِلُهْ) ، يشتمل كل مفرد من مفرداتها ، على واو منقلبة عن ألف ثانية زائدة (فاعِلَة = راحِلَة ، هاطِلَة ، عاذِلَة ، فاعِل = عامِل ، فاضِل) ؛ فكان الفرزدق أحرص على جرس الأصوات ، من زهير الذي كان أحرص على إيقاع الصيغ ، ولا سيما أن الفرزدق خضع في كلمة القافية مرة أخرى أكثر من زهير ، لإيقاع جرس السين (ساتِرُهْ ، سائِرُهْ ، مَسامِرُهْ ، تُساوِرُهْ ، ساهِرُهْ ، دَساكِرُهْ) ، والسين في هَمْسِ تَدَسُّسِ السّارق !

جُزْءُ الْقافِيَةِ الرّابِعِ (الدَّخيلُ)

[31] لقد اجتمع شاعرانا فيه على ستة عشر صوتا ساكنا (د ، ي ، م ، ق ، و ، ك ، ط ، هـ ، ج ، ت ، ء ، ف ، ص ، ذ ، ض ، ز) - وافترقا في ثمانية ، انفرد زهير منها بأربعة (ح ، غ ، ب ، ع) ، وانفرد الفرزدق بأربعة (ث ، ظ ، خ ، س) ، ثم كانت الهمزة أكثر استعمالا عندهما جميعا ، وإن زادت نسبتها في طويلة زهير .

وينبغي التنبيه في زيادة الأصوات المستعملة في جزء القافية الأول ، على المستعملة في جزء القافية الرابع - على فرق ما بين موقع الجزء الأول ، الذي يكون في آخر كلمة سابقة ، أو في أول كلمة لاحقة ، أو كلمة (أداة) من الروابط ، وبين الجزء الرابع الذي لا يكون إلا عين كلمة ؛ فإن لزيادة مجال الاختيار أثرا في زيادة عدد النتائج .

ولقد أصغى الفرزدق في كلمة القافية أكثر من زهير ، لإيقاع صيغة من صِيَغ جموع المُنْتَهى ، يشتمل كل مفرد من مفرداتها على مد ثالث حقيقيّ (فَعيلَة = سَريرَة ، فَعيل = ضَمير) ، أو وَهْميّ (فُعْلَة = حُرَّة ، فَعْلَة = ضَرَّة) ، ينقلب في الجمع همزة (فَعائِلُهْ = حَرائِرُهْ ، سَرائِرُهْ ، ضَرائِرُهْ ، ضمائره) ، ولولا ما روي في بعض

كلمات قافيته من تسهيل الهمزة في هذا الجزء من القافية ، لانضاف إلى هذه الطائفة غيرها - بما أصغى زهير فيها أكثر من الفرزدق ، لإيقاع صيغة اسم الفاعل الثلاثي ، التي تشتمل كل مادة من موادها على عين معتلة (ف ي ل ، ن و ل ، ق و ل) ، تنقلب في اسم الفاعل همزة (فاعِل = فائِلُ ، نائِلُ ، قائِلُ) ، أو على همزة (س ء ل) ، تبقى (فاعِل = سائِلُ) .

جُزْءُ الْقافِيَةِ الْخامِسُ (الإِشْباعُ)

[32] تغلب الكسرة على هذا الموضع ، غلبة ظاهرة ؛ فلا تكاد تشركها فيه غيرها - وهو عندئذ عيب السناد - إلا أختها الضمة ، فأما الفتحة فبعيدة القبول ، قبيحة السناد [70] . ولقد اجتمع شاعرانا فيه على الكسرة ، إلا أن الفرزدق خرج به مرة واحدة ، إلى الضمة ، في قوله :

فَغَيَّرَ لَيْلِي الْكاشِحونَ فَأَصْبَحَتْ لَها نَظَرٌ دوني مُريبٌ تَشازُرُهْ

ولقد تَجَلَّتْ مِنْ مسالك شاعرينا في الجزأين السابقين ، وَثاقَةُ علاقة كلم هذه القافية ، بصيغ جموع المنتهى (فعائِل ، فواعِل ، فعالِل) ، وصيغة اسم الفاعل الثلاثي (فاعِل) ، وهي كما لا يخفى ، مُتَأَصِّلٌ فيما قبل أواخرها الكسر ؛ فانكشف من سر غلبة الكسر ، ما تَرَكَه لِفِطْنَةِ الشاعر وراحَةِ المتلقي ، علماؤنا القدماء .

ولكن ضم الزاء من قافية الفرزدق السابقة ، الذي يخالف بها عما جرى عليه في سائر قوافي طويلته ، تنبيه شديد على استنكار الفرزدق تَشازُرَ النَّظَر ، تحضر به سريعا ، كلمة امرئ القيس المشهورة :

" غَدائِرُه مُسْتَشْزِراتٌ إِلى الْعُلا تَضِلُّ الْعِقاصُ في مُثَنًّى وَمُرْسَل " [71]

إن التَّشازُرَ لنظر العين ، والاسْتِشْزارَ لغدائر الشعر ، كلاهما من الشَّزْر ، وهو جَذْبٌ يتحول فيه الجاذب بما يجذبه ، عن الجهة المنتظرة ، إلى جهة أخرى ، فوقيةٍ في الاستشزار ، وجانبية في التشازر [72] .

لقد وضح في بيت الفرزدق نفسه ، معنى تغير صاحبته عليه ؛ فوضح معنى جذب النظر عن جهته إليه المنتظرة ، إلى جهة الكاشحين مِنْ حولها ، فأما امرؤ القيس فقد قال قبل بَيْتَيْنِ مِنْ بيته السابق :

" تَصُدُّ وَتُبْدي عَنْ أَسيلٍ وَتَتَّقي بِناظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِل " [73]

الذي وَضَحَ فيه استعصاءُ صاحبته عليه ؛ فوضح معنى عجيب في جذب الغدائر عن جهتها المنتظرة - وكأنه يريدها أن تتجه إليه ، كنايةً عن اتجاه صاحبته بكُلِّها إليه ! - ولا سيما أن قد ذكر في بيت الصدود ، اتقاء صاحبته له بناظرةِ مُطْفِلٍ ، وهو عند بعض نحارير الشراح ، مِنْ تَلَفُّتِها إلى طِفْلِها [74] ، ولكن أين خَباثَةُ مَنْ تَتَّقي صاحِبَةُ الفرزدق ، مِنْ طَهارَةِ مَنْ تَتَّقي صاحِبَةُ امْرِئ القيس !

وأطرف ما في هذا التشابه ، جواز حَمْلِ التَّشازُر على كَوْنِ النَّظَرِ فاعِلَه ، وعلى كَوْنِه مَفْعولَه المُطْلَق ، وجواز رواية " مُسْتَشْزِراتٌ " بكَسْرِ رائِها ، على كَوْنِ الْغَدائِرِ فاعِلَ الاسْتِشْزار ، و" مُسْتَشْزَرات " بفَتْحِ رائِها ، على كَوْنِها مَفْعولَه ؛ فكأنما

اشتمل الفرزدق على امرئ القيس مِنْ أَقْطاره ؛ ولا غَرْوَ أَنْ شُبِّهَ به في قِطْعَةٍ مِنْ طَويلَتِه !

جُزْءُ الْقافِيَةِ السّادِسُ (الرَّويُّ)

[33] تتصاعد أصوات العربية ، في مراتب قوى الإسماع فيها [75] ، من عديمة الإسماع ، إلى أحادية قوى الإسماع ، ثم إلى ثنائيتها ، ثم إلى ثلاثيتها ، ثم إلى رباعيتها ، ثم إلى خماسيتها .

أما خُماسيَّتُها فالفَمَويَّةُ المجهورة الحرة الانطلاق أو المعترضة دون احتكاك ، ومنها الهاء التي استماعها شاعرانا ، والتزما قبلها ما يكون هو الروي ، لتكون هي الوصل الذي يصل به إلى الأسماع ؛ فلا أكاد أجد الروي من أصوات هذه المرتبة السادسة ، وإذا وجدته كدت أظن القافية به مُعَدَّدَةً لا مُوَحَّدَةً [76] !

ولقد اجتمع شاعرانا على مرتبة الأصوات الرباعية قوى الإسماع (الأنفية والجانبية والترددية المجهورات) ، أعلى المراتب المقبولة في هذا الجزء من القافية - وافترقا في أن اختار زهير منها اللام ، واختار الفرزدق الراء .

ربما حرص كل منهما على تغليب مادة مرحه في هذا الموقع البارز من البيت ؛ فأما زهير فلما كان نشاطه بالرَّحْل والرَّواحِل ، ناسبته اللام وتمسك بها ، وأما الفرزدق فلما كان نشاطه بالكَسْرِ والكَواسِر ، ناسبته الراء وتمسك بها . ولقد أردت أن أختبر ذلك ؛ فذهبت أفتش عن أصداء اللام والراء ، فيما قبل هذا الجزء من طويلتي شاعرينا ؛ فعثرت على اللام في كل بيت من أبيات طويلة زهير ، بين مرة وثماني مرات - وافتقدت الراء في ستة أبيات من طويلة الفرزدق ، وعثرت عليه فيما سواها بين مرة وخمس مرات . ثم عكست ذلك ؛ فذهبت أفتش عن راء الفرزدق في طويلة زهير ؛ فافتقدته في سبعة أبيات ، وعثرت عليه فيما سواها بين مرة وخمس مرات - وذهبت أفتش عن لام زهير في طويلة الفرزدق ؛ فعثرت عليه في كل بيت من أبياتها ، بين مرة وعشر مرات !

ربما دلت نتائج ذلك البحث السريع ، على تقدير زهير لجرس صوت هذا الجزء من القافية ، أكثر من تقدير الفرزدق . ولكنها تدل على قوة حضور اللام في ذوق الشعراء ؛ وتقتضي إعادة النظر فيما درجنا عليه من الجمع المستمر بينها وبين الراء ، في مرتبة واحدة من الاستعمال ، مهما تكن مرتبتهما الواحدة من قوة الإسماع .

أَجْزاءُ مَقاطِعِ الْقَوافي (فاعِلُن) الْمُطابَقَةُ ، وَتَواليها

[34] لقد اجتمع شاعرانا في مطابقة أجزاء القافية على استعمال صيغة من صيغ الأسماء (فاعل) ، مضافة إلى ضمير غائب ؛ فقال زهير مثلا :

فَأَصْبَحْتُ ما يَعْرِفْنَ إِلّا خَليقَتي وَإِلّا سَوادَ الرَّأْسِ وَالشَّيْبُ شامِلُهْ

فأدى أجزاء قافيته بـ" شامِلُهْ " ، اسم الفاعل المتعدي المضاف إلى مفعوله .

وقال الفرزدق :

أَلا مَنْ لِشَوْقٍ أَنْتَ بِاللَّيْلِ ذاكِرُهْ وَإِنْسانِ عَيْنٍ ما يُغَمِّضُ عائِرُهْ

فأدى أجزاء قافيته بـ" عائِرُهْ " ، اسم العين المضاف إلى مالكه ؛ حتى إذا ما أراد أي من شاعرينا أو من متلقي بيتيهما ، تمييز تَيْنِ القافيتين ، استفاد من هذه المطابقة كما سبق في [29] ؛ فتمهل قليلا قبل طَبيقَتَيْهِما .

وافترق شاعرانا في زيادة نسبة هذه المطابقة في طويلة الفرزدق ، عليها في طويلة زهير ، وفي منهج تحريكها بين الفصول ؛ فحركاتها في فصول طويلة الفرزدق (صعود في 1 ، فهبوط في 2 ، فعَدَمٌ في 3 ، فصعود في 4 ، فهبوط في 5) ، على حين كانت حركاتها في فصول طويلة زهير (صعود في 1 ، فعَدَمٌ في 2 ، فصعود في 3 ، فصعود في 4 ، فصعود في 5) - كما افترقا في ترددها في طويلة زهير ، بين اسم الفاعل المتعدي المضاف إلى مفعوله ، كثيرا (شامِلُهْ ، شاغِلُهْ ، قاتِلُهْ ، حامِلُهْ ، خاذِلُهْ ، فاعِلُهْ ، سائِلُهْ ، واصِلُهْ ، قائِلُهْ ، آجِلُهْ ، جاهِلُهْ) ، واسم العين المضاف إلى مالكه ، قليلا (وابِلُهْ ، نائِلُهْ ، باطِلُهْ) ، وترددها في طويلة الفرزدق ، بين اسم الفاعل المتعدي المضاف إلى مفعوله (ساتِرُهْ ، قادِرُهْ ، كاسِرُهْ ، شاكِرُهْ ، غافِرُهْ) ، واسم العين المضاف إلى مالكه (عائِرُهْ ، نائِرُهْ ، سائِرُهْ ، تاجِرُهْ ، طائِرُهْ) ، بنسبتين متوسطتين متطابقتين ، واسم الفاعل اللازم الموسع بحذف الجار بعده وتوصيله إلى مجروره ، بنسبة أقل قليلا (ناظِرُهْ ، ثائِرُهْ ، حاضِرُهْ ، ساهِرُهْ) ، واسم الفاعل اللازم المضاف إلى فاعله ، بنسبة أقل قليلا (داثِرُهْ ، جائِرُهْ ، آخِرُهْ) .

لقد تنازعت بين يدي شاعرينا ، مطابقات أجزاء القوافي (فاعِلُن) التي هي أجزاءٌ مِنْ أواخر تفاعيلها الأخيرة (ضروبها التي على مَفاعِلُنْ) ، ومطابقات تفاعيلها الأخيرة أنفسها (ضروبها التي على مَفاعِلُنْ) ، واجتمعا على تغليب مطابقة التفاعيل ، وهو تغليب لخصائص الوزن في هذا الموضع ، على خصائص القافية ، من باب العدل الإيقاعي بينهما ، ولا سيما أن قوافي طويلتيهما ، من أكثر أنواع القوافي أَجْزاءً مُلْتَزَمةً . ولكن زهيرا كان أَمْيَلَ من الفرزدق في كفكفة ذلك التنازع ، إلى إخلاء " أجزاء القوافي " و" التفاعيل الأخيرة " كليهما ، من المطابقات ، وأَرْغَبَ منه في إذابة أواخر الأبيات فيما قبلها .

وأعجب مظاهر ذلك التنازع ، أن جمع بينهما في بيتين كلاهما قبل آخر طويلة صاحبه :

وَأَهْلِ خِباءٍ صالِحٍ ذاتُ بَيْنِهِمْ قَدِ احْتَرَبوا في عاجِلٍ أَنا آجِلُهْ
وَيَحْسَبُها باتَتْ حَصاناً وَقَدْ جَرَتْ لَنا بُرتاها بِالَّذي أَنا شاكِرُهْ

إنه لموقف عجيب من التلاقي على حيرة إيقاعية بين حذف ألف " أنا " وإفساد المطابقة ، وبين إثباتها وإصلاح المطابقة ! لا ريب في تلاقي اللغة والوزن على حذفها ، ولكن إثباتها أقوى تمييزًا للقافية ، وأدل على أنانية مناسبة لزهير من حيث أراد القَسْوَة على نفسه ، ومناسبة للفرزدق من حيث أراد القَسْوَة على غيره !

تَفْصيلُ الْأَفْكارِ

[35] لقد اجتمع شاعرانا كما سبق ، على بث رسالة المرح (سَوْرَتِه ، وخِفَّتِه ، ونَشاطِه) ، في روع المتلقي ، وعلى اصطناع الحكمة في تركيب الرسالة ، بما

استوفياه من أفكار المشكلة والدعوى والدليل ، في طويلتيهما الوِتْرِيَّتَيِ الفصول - وافترقا فيما كرره زهير من الدليل ، وما كرره الفزردق من المشكلة والدعوى ، وفي أطوال فصولها ؛ فلم يتفق بينهما ولا عند أي منهما ، طولا فصلين اثنين ، وإن كان في هذا الافتراق نفسه ، طرف من الاجتماع على منهج واحد في التنبيه بالطول على الأهمية .

لم ينخلع أي من شاعرينا من طَبيعَة إِرْثِه وأَثَرِ دُرْبَتِه ؛ فعلى حين يتحسر زهير في المشكلة على ذهاب ما كان يحتويه هو وحبيبته من أعمال المرح ، يتحسر الفرزدق على تأبي إحدى حبائبه عليه مرة ، ثم على عجزه عن أخرى بعيدة مرة أخرى - ثم على حين يتعلق زهير في الدعوى بمنازل حبيبته في غيبتها ، يفضح الفرزدق ريبته وظنونه مرة ، ثم يذكر معها غيرها مرة أخرى - ثم على حين يحتج زهير في الدليل بإحدى طردياته الممتلئة فتوة مرة ، ثم بإحدى انتجاعاته من يمتلئ مثله فتوة مرة ثانية ، ثم بإحدى سخرياته ممن يضاد ذلك مرة ثالثة - يحتج الفرزدق بإحدى فتكاته الممتلئة فسولة !

لقد تعمد الفرزدق تعديد حبائبه فتعددت مشكلاته بهن ودعاواه فيهن ؛ فاضطرب منهجه ذهابا وإيابا ، فأما زهير فكان أحكم رأيا وأحصف بصرا .

مَواضِعُ الْأَنْواعِ

[36] لقَد اجتمع شاعرانا فيما استوفياه من أنواع أفكارهما ، على ما رتباها به - وافترقا فيما كرراه منها على ما وضعاها فيه ؛ فأما زهير فكرر الدليل بعد الدليل بعد الدليل ، وأما الفرزدق فإن كان كرر الدعوى بعد الدعوى ، فقد كرر المشكلة بعد الدعوى .

لقد جارى الفرزدق زهيرا في تقديم مشكلة الحسرة إلى الفصل الأول ، ثم وافقه بما ادعى في الثاني ، ولكنه خالفه إلى دعوى أن حيرته في زيارة صاحبته ، هي التي غيرتها عليه ، من بعد أن ادعى زهير أن بَيْنَ حبيبته التي شاركته صباه وشبابه وكهولته ، هو الذي عَرَّضَه في شيخوخته لسخر العذارى . ثم انفرد الفرزدق باستحداث دعوى جديدة ، قدمها على مشكلة جديدة جعلها حسرة أخرى ؛ فكأن حسراته لا تنقضي ! ولقد كانت دعواه الجديدة ، أن انقطاع ما بينه وبين صاحبته ، وراء حسرته على عجزه عما كان يقدر عليه منها !

ولقد اجتمعا كما سبق على تمييز فصل الطرد من سائر الفصول - وافترقا في أن جاء عند زهير ثالثا ، وعند الفرزدق خامسا أخيرا ؛ فكأنما استخفى به زهير الشيخ ، خشية التهمة برعونة الشباب ؛ فأخفاه في الفصول بعد اثنين وقبل اثنين ، وجاهر به الفرزدق كيدا ، فتَوَّجَها أخيرا به !

خاتِمَةٌ

[37] أفضى بي السعي في سبيل خدمة نظرية العروض النصية ، التي تتصل فيها أسباب مراحل الثقافة العربية السالفة ومراحل الثقافة الغربية الخالفة - إلى أن أَنْتَبِهَ من مقالات علمائنا القدماء في شعر الطبقة الأولى من فحول الجاهليين ، إلى مقالة أبي عمرو بن العلاء هذه النفيسة : " نَظيرُهُ (الأعشى) في الْإِسْلامِ جَريرٌ ، وَنَظيرُ النّابِغَةِ الْأَخْطَلُ ، وَنَظيرُ زُهَيْرٍ الْفَرَزْدَقُ " ؛ فأراها علامة بارزة على منهج موازنة القصائد (النصوص) المتزامنة أو المتعاقبة أو المتزامنة المتعاقبة معا ، ودعوة خالدة إلى بحث نصي عروضي شامخ ؛ وأختار لهذا البحث شعر ثالث أزواج الشعراء المذكورين بمقالته نفسها (زهير والفرزدق) .

ولقد انقسم البحث على ثلاثة مباحث :

1 " شِعْرُ زُهَيْرٍ وَالْفَرَزْدَقِ " ، الذي تأملت فيه أربع مسائل : " شعراهما في أَشْعارِ غَيْرِهِما " ، و" شِعْر كُلٍّ منهما في شِعْرِ الْآخَرِ " ، و" أَنْماط قَصائِدِ كُلٍّ مِنْهُما في أَنْماطِ قَصائِدِ الْآخَرِ " ، و" أَطْوالُ قَصائِدِ كُلٍّ مِنْهُما في أَطْوالِ قَصائِدِ الْآخَرِ " .

2 " قِصارُ زُهَيْرٍ وَالْفَرَزْدَقِ " ، الذي تأملت فيه أربع عشرة مسألة : " مِعْيار الطّولِ وَالْقِصَرِ " ، و" غَلَبَة الْقِصارِ " ، و" وِتْرِيَّة الْقِصارِ وَالطِّوالِ " ، و" مُثَلَّثات زُهَيْرٍ " ، و" مِنْ مُثَلَّثات الْفَرَزْدَقِ " ، و" الْأَنْماط وَالْحَرَكات " ، و" عَناصِرِ مُرَكَّبِ الرّسالَةِ " ، و" جَوامِعِ وَفَوارِق " ، و" بَيْنَ رِثائِيَّتَيْهِما " ، و" بَيْنَ تَأْدِيبِيَّتَيْهِما " ، و" بَيْنَ مَرَحِيَّتَيْهِما " ، و" بَيْنَ هِجائِيَّتَيْهِما " ، و" بَيْنَ سِياسِيَّتَيْهِما " ، و" الْحِكْمَة بَيْنَ الْفَنِّ وَالْعِلْمِ " .

3 " طِوالُ زُهَيْرٍ وَالْفَرَزْدَقِ " ، الذي تأملت فيه خمس عشرة مسألة : " الْمُنْطَلَق الْعَروضِيّ اللُّغَويّ " ، و" طَويلَة زُهَيْرٍ " ، و" طَويلَة الْفَرَزْدَقِ " ، و" جَوامِع وَفَوارِق " ، و" الْمَقاطِع الْقَصيرَة " ، و" الْمَقاطِع الطَّويلَة " ، و" مَجاميع الْمَقاطِعِ الْمُطابَقَة " ، و" تَوالي مَقاطِعِ المَجاميعِ وَتَوالي مُطابقاتِها " ، و" جُزْء الْقافِيَةِ الْأَوَّل " ، و" جُزْء الْقافِيَةِ الرّابِع " ، و" جُزْء الْقافِيَةِ الْخامِس " ، و" جُزْء الْقافِيَةِ السّادِس " ، و" أَجْزاء مَقاطِعِ الْقَوافي الْمُطابَقَة ، وَتَواليها " ، و" تَفْصيل الْأَفْكارِ " ، و" مَواضِع الْأَنْواع " .

ولقد اجتمع شاعرانا على وجوه من هذه المسائل ، ربما كانت وراء مقالة أبي عمرو بن العلاء - رضي الله عنه ! - وافترقا في وجوه أخرى ، ربما كانت وراء بقائهما جميعا معا في العربية شاعرين كبيرين ؛ حتى قال عِكْرِمَةُ بْنُ جَريرٍ : " قُلْتُ لِأَبي : يا أَبَتِ مَنْ أَشْعَرُ النّاسِ ؟ قالَ : أَعَنِ الْجاهِلِيَّةِ تَسْأَلُني أَمْ عَنِ الْإِسْلامِ ؟ قُلْتُ : ما أَرَدْتُ إِلّا الْإِسْلامَ ؛ فَإِذْ ذَكَرْتَ الْجاهِلِيَّةَ ، فَأَخْبِرْني عَنْ أَهْلِها ! قالَ : زُهَيْرٌ أَشْعَرُ أَهْلِها . قُلْتُ : فَالْإِسْلامِ ؟ قالَ : الْفَرَزْدَقُ نَبْعَةُ الشِّعْرِ " [77] !

حَواشي الْبَحْثِ

1 ويليك : 177 .
2 صقر : 168 .
3 ويليك : 174 .
4 بوجراند : 447 .
5 ابن سلام : 66/1 .
6 مجمع أبي ظبي . ومجموع شعراء الجاهليين والخضرمين في موسوعته الشعرية الألكترونية ، 704 (جاهليوهم 536 ، ومخضرموهم 168) ، ومجموع قصائدهم 6820 (جاهليها 2518 ، ومخضرمها 4302) ، ومجموع أبياتها 55162 (جاهليها 20034 ، ومخضرمها 35128) ، وشعراء الأمويين فيها 228 ، وقصائدهم 7785 ، وأبياتها 62092 . وبقسمة القصائد على الشعراء ، يخرج متوسط نتاج النموذج ، وبقسمة الأبيات على القصائد ، يخرج متوسط طول القصيدة . وعلى رغم ما في هذه الموسوعة الشعرية من هَنات غير هَيّنات أرجو أن تتنزه عنها في نشراتها الآتية ، لخفائها على كثير من الناس وعموم حاجتهم إليها - رأيت من الحكمة أن أحتكم إليها في رؤية تلك الجمهرة الضخمة من الشعر ، التي تنفرد هي بها ؛ فاستخلصت منها المادة المقرَّبة في الجدول الآتي :

الشاعر	قصائده	أبيات قصيدته
ن1	10	8
ن2	34	8
الأعشى	ن1 × 8	ن1 × 4
جرير	ن2 × 9	ن2 × 2
النابغة	ن1 × 8	ن1 × 1
الأخطل	ن2 × 6	ن2 × 2
زهير	ن1 × 5	ن1 × 2
الفرزدق	ن2 × 18	ن2 × 2

- ن1= نتاج شعراء الجاهليين والمخضرمين جميعا معا ، ن2= نتاج شعراء الأمويين جميعا .

7 وأبو عمرو القائل فيما روى الأصمعي تلميذه - الجاحظ : 321/1 - : " لَقَدْ كَثُرَ هذا الْمُحْدَثُ وَحَسُنَ ؛ حَتّى لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ فِتْيانَنا بِرِوايَتِه ... يعني شعر جرير والفرزدق وأشباههما " . ويُروى - ابن قتيبة : 63/1 - " حَتّى لَقَدْ هَمَمْتُ بِرِوايَتِه " ، وهو في هذه أقربُ رِضًا ! والأصمعي القائل فيما روى أبو حاتم تلميذه - المرزباني : 95 - : " ليس (مهلهل بن ربيعة التغلبي) بفَحْلٍ ، ولو قال مثل قوله : أَلَا يْلتَنا بذي حُسُمٍ أنيري ، خمسَ قصائد ، لكان أفحلهم " !

8 مجمع أبي ظبي ؛ فقد استخرجت من موسوعته الشعرية ، أنصبة بحور الشعر من قصائد شعراء مقالة أبي عمرو المتقدمين والمتأخرين ، ومن قصائد نَموذَجَيْهِم العامَّيْن ، لأُجَدْوِلَ فيما يأتي ، نِسَبَها ومنازِلَ بَعْضِها مِنْ بَعْض :

البحر		ن1	ن2	الأعشى	جرير	النابغة	الأخطل	زهير	الفرزدق
الطويل	م	1	1	1	1	1	1	1	1
	ن	38,62	46,31	33,33	34,46	35,00	50,00	30,19	69,54
المديد	م	11	11	×	×	×	7	×	×
	ن	0,35	0,42	×	×	×	0,51	×	×
البسيط	م	4	2	4	4	3	3	3	3

	ن	12,27	14,35	11,11	15,54	22,50	15,82	18,87	10,26
الوافر	م	2	3	5	2	4	2	2	2
	ن	15,40	13,07	9,88	23,31	20,00	18,37	24,53	11,42
الكامل	م	3	4	2	3	5	4	3	4
	ن	12,58	10,36	14,81	18,92	12,50	7,65	18,87	7,45
الهزج	م	12	12	×	×	×	×	×	×
	ن	0,29	0,26	×	×	×	×	×	×
الرجز	م	5	6	6	5	2	5	×	6
	ن	8,33	4,36	6,17	5,41	25,00	5,10	×	0,33
الرمل	م	8	9	7	×	7	7	5	×
	ن	1,67	1,43	2,47	×	1,25	0,51	1,89	×
السريع	م	10	10	7	×	6	×	×	×
	ن	1,48	1,05	2,47	×	3,75	×	×	×
المنسرح	م	9	8	8	7	×	×	4	×
	ن	1,51	1,52	1,23	0,34	×	×	3,77	×
الخفيف	م	7	5	6	7	7	×	×	×
	ن	2,77	4,75	6,17	0,34	1,25	×	×	×
المجتث	م	13	13	×	×	×	×	×	×
	ن	0,15	0,03	×	×	×	×	×	×
المتقارب	م	6	7	3	6	7	6	5	5
	ن	4,71	3,88	12,35	1,69	1,25	2,04	1,89	0,99

- م= منزلة البحر ، وتعرف بعد معرفة نسبة استعماله ، ن= نسبته ، وتعرف قبل معرفة منزلة استعماله .

9 مجمع أبي ظبي . وفي موسوعته الشعرية يتجلى بدء استعمال الأبحر الثلاثة في العصر العباسي .

10 قصائد زهير في الموسوعة الشعرية 53 كالمعتمد الذي في الديوان ، وقصائد الفرزدق فيها 604 بزيادة أربع قصائد على المعتمد الذي في الديوان ! ولقد اطَّرحت من هذا المُعْتَمَد ، ما وقع في قصائده برقم 95 - 176/1-177 - على النحو الآتي - وجريت في تدقيق مادة طبعة زيتون الحديثة السهلة المعتمدة ، على مراجعتها على مادة طبعة الصاوي القديمة الدقيقة ؛ فما أكثر ما جنى حسن الحداثة المجلوب على حسن القدامة غير المجلوب - : " رَوى أَبو عُبَيْدَةَ أَنَّ راكِبًا أَقْبَلَ مِنَ الْيَمامَةِ ، فَمَرَّ بِالْفَرَزْدَقِ وَهُوَ جالِسٌ ، فَقالَ لَه : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قالَ : مِنَ الْيَمامَةِ . فَقالَ : هَلْ أَحْدَثَ ابْنُ الْمَراغَةِ بَعْدي مِنْ شَيْءٍ ؟ قالَ : نَعَمْ . قال : هات ! فَأَنْشَدَ :

هاجَ الْهَوى لِفُؤادِكَ الْمُهْتاج

فَقالَ الْفَرَزْدَقُ :

فَانْظُرْ بِتوضِحَ باكِرَ الْأَحْداج

فَأَنْشَدَه الرَّجُلُ :

هذا هَوًى شَعَفَ الْفُؤادَ مُبَرِّحٌ

فَقالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَنَوًى تَقاذَفُ غَيْرُ ذاتِ خِداج

فَأَنْشَدَه الرَّجُلُ :

إِنَّ الْغُرابَ بِما كَرِهْتُ لَمولَعٌ

فَقالَ الْفَرَزْدَقُ :
بِنَوى الْأَحِبَّةِ دائِمُ التَّشْحاج
فَقالَ الرَّجُلُ : هكَذا ، وَاللهِ ! أَفَسَمِعْتَها مِنْ غَيْرِي ؟ قالَ : لا ! وَلكِنْ هكَذا يَنْبَغي أَنْ يُقالَ ؛ أَوَ ما عَلِمْتَ أَنَّ شَيْطانَنا واحِدٌ ! ثُمَّ قالَ : أَمَدَحَ بِها الْحَجّاجَ ؟ قالَ : نَعَمْ . قالَ : إِيّاهُ أَرادَ " ! فما هي إلا ثلاثة أبيات لجرير من مطلع جيميته في الحجاج ، يرد فيها على جامع شعر الفرزدق الأول :

- أنه أقحمها في قصائد الفرزدق بثلاثة أبيات فقط ، على رغم أنها في قصائد جرير بواحد وعشرين بيتا ، جرير : 136/1 .
- أن لم يُخَمِّنْ منها الفرزدق إلا أعجاز ثلاثة أبيات المطلع ، ومحال ألا يتجاوز الحافظ هذه الثلاثة !
- أنْ قد دلت صدورُها على أعجازها ؛ فلم يسلم للفرزدق التفكير فيها !
- أنْ قد خَبَرَ الفرزدقُ من قبلُ أسلوب جرير طويلا ؛ فلا يمتنع عليه أن يقلده ؛ فكأنْ قد سمعها من جرير نفسه ! لقد كان يميز شعر جرير من شعر غيره ، وكذلك يميزه غيره من شعراء عصره ، كما في خبر استعانة ذي الرمة بجرير على هشام ابن قيس المَرَئيّ ، وإعانته إياه بثلاثة أبيات جَعَلَها ذو الرمة في أثناء رائيته التي فَلَجَ بها على المَرَئيّ - الأصفهاني : 2804/7 - فقد انتبه إليها المَرَئيُّ أولا حتى بكى من خشية جرير وهو ينصت إلى الرائية ! ثم انتبه إليها الفرزدق آخرا وهو ينصت إلى الرائية حتى قال لذي الرمة : " كَذَبَ - وَاللهِ - فوكَ ! وَاللهِ ، لَقَدْ نَحَلَكَها أَشَدُّ لَحْيَيْنِ مِنْكَ ! هذا شِعْرُ ابْنِ الْأَتانِ " ، ولم تخفها عنهما الأبيات من حولها !
- أن هذا ومثله وأكبر منه يكون في أثناء الحرب الدائرة بين الفرزدق وجرير !
- أن هذا ومثله وأكبر منه يكون في أثناء ترويج الشاعر لنفسه ، أو في أثناء ترويج أصحابه له !

ولأمر ما قال الصاوي - 144/1 - : " هذه القصيدة لجرير ، وقد ذكرتها في ديوانه ، وقد وافق قول الفرزدق فيها قول جرير ، لا كما يقول الفرزدق (إن شيطانهما واحد) ، ولكن لعلم الفرزدق بمواقع الكلام ، ولحذقه ، وفطنته ، وشدة معرفته بمذاهب صاحبه ، ولطول عهد التهاجي بينه وبين جرير " !

11 زهير ، والفرزدق : ديواناهما ؛ فقد استخرجت منهما أنصبة بحور الشعر من قصائد كل منهما ، لأُمَحِّصَ في الجدول الآتي ، نِسَبَها ومنازِلَ بَعْضِها مِنْ بَعْض :

المنزلة	1	2	3		4	5		6
ز	الطويل	الوافر	البسيط	الكامل	المنسرح	الرمل	والمتقارب	×
	30,19	24,53	18,87	18,87	3,77	1,89	1,89	×
ف	الطويل	الوافر	البسيط		الكامل	المتقارب		الرجز
	69,33	11,50	%10,50		7,33	1		0,33

- ز= زهير ، ف= الفرزدق .

12 زهير : 9 .

13 الفرزدق : 33 .

14 ذهبتُ أُنَمِّطُ قصائد زهيرٍ أَوَّلًا على ما يطرأ من خصائصها العروضية ، ثم قصائد الفرزدق آخِرًا على ما يوافق أنماط قصائد زهير ، إلا أن يَجِدَّ فيها نمط لم يسبق في قصائد زهير فأزيده على الأنماط ؛ حتى عثرت في قصائدهما جميعا معا ، على 257 نمط عروضي . ثم عدت أرتب ما عثرت عليه ، على حسب تنازل خصائصه الوزنية من أكبر

السلامة إلى أكبر التَّغَيُّر ، وعلى حسب تَتابُعِ خصائصه القافوية الهِجائيّ والصَّوْتيّ ؛ حتى انتهيت إلى جدول كبير ، هذه مثلا ، ثلاثة أنماطه الأولى :

م	النمط		قصائده (أرقامها)		أبياتها (أعدادها)	
	و	ق	ز	ف	ز	ف
1	الطويل الوافي المقبوض العروض والضرب	مقصورة مجردة	×	3	×	10
2	الطويل الوافي المقبوض العروض والضرب	الدالية المفتوحة المجردة الموصولة بالألف	35	108 ، 122 ، 123 ، 137 ، 162	15	5 ، 19 ، 4 ، 7 ، 20
3	الطويل الوافي المقبوض العروض والضرب	اليائية المفتوحة المؤسسة الموصولة بالألف	17	596 ، 597 ، 598 ، 599 ، 600 ، 601	26	42 ، 3 ، 38 ، 3 ، 13 ، 23

- و= الخصائص الوزنية ، ق= الخصائص القافوية .

ثم عدت أختصر ذلك الجدول ، بأهم عناصره ؛ حتى انتهيت إلى هذا الجدول الصغير :

البحر	زهير			الفرزدق		
	القصائد	أنماطها	متوسط قصائد النمط	القصائد	أنماطها	متوسط قصائد النمط
الطويل	16	16	1	416	127	3,28
البسيط	10	10	1	63	32	1,97
الوافر	13	13	1	69	33	2,09
الكامل	10	9	1,11	44	29	1,52
الرجز	×	×	×	2	2	1
الرمل	1	1	1	×	×	×
المنسرح	2	2	1	×	×	×
المتقارب	1	1	1	6	6	1

15 هذا مَقْطَعٌ مِنَ الجدول الكبير ، بِأَكْبَرِ أنْماطِ زهير والفرزدق أَنْصِبَةً مِنْ قَصائِدِهما :

م	النمط		قصائده (أرقامها)		أبياتها (أعدادها)	
	و	ق	ز	ف	ز	ف
83	الطويل الوافي المقبوض العروض والضرب	الميمية المكسورة المؤسسة الموصولة بالياء	×	477 ، 481 ، 482 ، 489 ، 493 ، 497 ، 503 ، 505 ، 506 ، 517 ، 518 ، 520 ، 521 ، 523 ، 528 ، 530 ، 531 ، 537 ، 539 ، 542 ، 548 ، 549 ، 552 ، 557 ، 558 ، 559 ، 564 ، 566	×	13 ، 15 ، 9 ، (2 ، 6) ، 3 ، 7 ، 12 ، 26 ، 29 ، 7 ، 2 ، 3 ، 12 ، 5 ، 2 ، 2 ، 2 ، 5 ، 22 ، 2 ، 13 ، 29 ، 2 ، 47 ، 3 ، 28 ، 149 ، 41
245	الكامل الوافي الأحذ العروض المضمر الضرب الأحذه	الميمية المكسورة المجردة الموصولة بالياء	48 ، 49	×	20 ، 8	×

16 زهير : 272 . أكتب الأبيات متصلة الأشطار بلا بياض بين صدورها وأعجازها ، إلا الأبيات المصرعة أو المقفاة الواضح قصد الشاعر فيها إلى الوقف على أعاريضها تشبيها لها بضروبها - تنبيها على أصالة اتصالها في عمل الشاعر .

17 السابق : 276 ، و" أَيْتَ للحلم " - قال المحقق العلامة - عجبا لحلمه ، أين غاب عنه !

18 ابن رشيق : 177/1 ؛ فقد قال : " إذا لَمْ يُصَرِّعِ الشّاعِرُ قَصيدَتَه كانَ كَالْمُتَسَوِّرِ الدّاخِلِ مِنْ غَيْرِ بابٍ " ! والتقفية من بابة التصريع ، وفرق ما بينهما أن وزن تفعيلة عروض المطلع المشبهة بتفعيلة ضربه ، ينقص في التصريع وحده عما سيجري عليه فيما سوى المطلع ، أو يزيد .

19 الفرزدق : 383/2 .

20 السابق : 386/2 .

21 السابق : 414/2 .

22 هي هذه : 497 ، 505 ، 506 ، 517 ، 520 ، 521 ، 539 ، 548 ، 557 ، 564 ، 566 .

23 هما هاتان : 564 ، 566 .
24 الفارابي : 1088 .
25 أبيات قصائد زهير في الموسوعة الشعرية (894) بزيادة ثلاثين بيتا تقريبا على ما في الديوان . وأبيات قصائد الفرزدق (7235) بزيادة سبعين بيتا تقريبا على ما في الديوان !
26 ابن رشيق : 186/1 .
27 السابق نفسه .
28 وَزَّعْتُ فيما يأتي ، أطوال قصائد زهير والفرزدق ، على وَحَدات عَشْريّة ، بحيث يعد اكتمال كل عشرة أول الوحدة اللاحقة ، لا آخر الوحدة السابقة :

الوحدة	9	19	29	39	49	59	69
ز	26	10	7	5	3	1	1
	49,06	18,87	13,21	9,43	5,66	1,89	1,89
ف	396	89	45	32	20	6	3
	66,00	14,83	7,50	5,33	3,33	1,00	0,50
79	89	99	109	119	129	139	149
×	×	×	×	×	×	×	×
×	×	×	×	×	×	×	×
3	2	2	×	1	×	×	1
0,50	0,33	0,33	×	0,17	×	×	0,17

29 حقي : 39 ؛ فهو أول من نبهني صغيرا ، على واحدة الفرزدق (ملحمته الفائية الطويلة) ، وهي التي ناصى بها واحدة زهير (معلقته الميمية الطويلة) !
30 ابن رشيق : 186/1 . وقد روى الأصفهاني - 8630/25 - أنه : " قيلَ لِلْفَرَزْدَقِ : ما اخْتِيارُكَ فِي شِعْرِكَ لِلْقِصارِ ؟ قالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُها فِي الصُّدورِ أَثْبَتَ ، وَفِي الْمَحافِلِ أَجْوَلَ (...) وَقيلَ لِلْحُطَيْئَةِ : ما بالُ قِصارِكَ أَكْثَرَ مِنْ طِوالِكَ ؟ قالَ : لِأَنَّها فِي الْآذانِ أَوْلَجُ ، وَفِي أَفْواهِ الرُّواةِ أَعْلَقُ (...) قيلَ لِعَقيلِ بْنِ عُلَّفَةَ : ما لَكَ تُقَصِّرُ فِي هِجائِكَ ؟ قالَ : حَسْبُكَ مِنَ الْقِلادَةِ ما أَحاطَ بِالرَّقَبَةِ " ، والقلادة كما ذكر ابن منظور - قلد - " ما جُعِلَ فِي الْعُنُقِ ، يَكونُ لِلْإِنْسانِ وَالْفَرَسِ وَالْكَلْبِ وَالْبَدَنَةِ الَّتي تُهْدى وَنَحْوِها " !
31 ابن رشيق : 186/1 .
32 اقتطعت من الجدول السابق ، ما دون العشرة من قصار زهير والفرزدق ، ووَزَّعْتُها فيما يأتي على حسب أعداد أبياتها الصريحة :

الأبيات	1	2	3	4	5	6	7	8	9
ز	1	4	5	3	3	2	2	5	1
	3,85	15,38	19,23	11,54	11,54	7,69	7,69	19,23	3,85
ف	×	100	115	60	43	26	17	14	21
	×	25,25	29,04	15,15	10,86	6,57	4,29	3,54	5,30

33 ابن رشيق : 164/1 .
34 زهير : 163-164 . وهي فيه برقم 15 . نخل موضع معين ، وجُنوبُه نواحيه .
35 السابق 215 ، وهي فيه برقم 26 .
36 السابق : 216 ، وهي فيه برقم 27 . والدين الطاعة والعادة .
37 السابق : 221-222 ، وهي فيه برقم 29 . قال المحقق العلامة في شرح كلمات هذا البيت الثالث :" أسدي : اطلبي السداد . ويا مني : يا منية . وأسجحي : ارفقي وأحسني الأخذ . يريد : اقصدي له يا منية وترفقي به فهو يهدده بالموت ويهزأ به " . ولا طائل وراء هذا ؛ فلقد قدم زهير أن المجترئ عليه هالك أو كهالك ، فأما هنا فيضيف إلى ذلك هُزْءًا به ، أن يرجو الموتَ إذا ما اجترأ عليه عوفُ بن شماس ، أن يُحْسِنَ الموتُ من أجله القصدَ إليه هو نفسه لا إلى عوف ، وأن يرفق به هو نفسه لا بعوف ؛ فهو كريم لا يجوز من الموت إلا أن

يكرمه إذا طاوع عوفا وقصد إليه ، ولكن هذا لا يكون إلى من باب السخرية من عوف ، ولا ينفتح للسخرية بابها إلا بهذا المفتاح !

38 السابق : 268-269 ، وهي فيه برقم 45 . وهكذا رسم الأبياتَ المحققُ العلامة :

ولولا أَنْ يَنالَ أَبا طَرِيفٍ
عَذابٌ ، مِن مَليكٍ ، أو نَكالُ
لمَا أَسْمَعْتُكُمْ قَذَعًا ، ولكِنْ
لِكُلِّ مَقامِ ذِي عانٍ مَقالُ
عَلى ما تَحبِسُونَ أَبا طَرِيفٍ ؟
ألا ، في كلِّ ما شَيءٍ طَوالُ

ثم قال في حاشيته على الثالث : " قوله { على ما } يريد : علام . وأثبت الألف على لغة بعض العرب . ويروى : { علام تُحبّسون } . و{ ما } بعد { كل } زائدة . والطوال : الإنعام " . ولكن المعنى " لَوْلا خَشْيَتي أَنْ يَنالَ أَبا طَرِيفٍ عَذابُ آسِرِه أَوْ نَكالُه ، لَما هَجَوْتُكُمْ عَلى حَبْسِكُمْ إِيّاهُ ؛ فَرُبَّما كانَ نِعْمَةً " . لقد جاور أبو طريف أولئك المخاطبين ، فأساء إليهم ، ثم أساء إليهم ، وصبروا عليه ، ثمت أساء إليهم ، فلم يصبروا عليه ؛ فذهب عنهم إلى زهير ، وكذب عليهم عنده ، حتى هجاهم بقصيدته الهمزية (11) ، وفضحهم جهلا ؛ فعادوا على أبي طريف بما لا يستحق من الإحسان كرامة لزهير وخوفا من لسانه وأطلعوه طِلْعَ الحقيقة ، وكان زهير متعففا ورعا ، فكأنما أراد بثلاثة الأبيات الاعتذار من هجائهم من دون تكذيب أبي طريف لكيلا يغضب قومه أهل نعمته ! قد أوجزت ما فهمته بفضل تأمل . وإيجاز معنى الشعر أحب إلي ؛ فربما ضره الإطناب ! ولا أدري كيف رضي المحقق ما ذكر ، ولا كيف سكت على ما نقل ؛ فلا طائل وراء أي منهما ، ولا سيما أن قد رُوِيَ عن زهير قوله : " ما خَرَجْتُ في لَيْلَةٍ ظَلْماءَ إِلّا خِفْتُ أَنْ يُصيبَني اللهُ بِعُقوبَةٍ لِهجائي قَوْمًا ظَلَمْتُهُمْ " الأصفهاني : 3774/10 ، أراد أولئك مجاوري أبي طريف . ولو كنت مُرَقِّمًا - ولا أشكل كما يشكل المحقق العلامة ؛ إذ لا يصلح مثلا شكلُ ما بعده مدة من الحروف ؛ فالمدة هي شكلته ، حتى حرف الروي نفسه ، ولا أفصل بين شطري البيت فهو نفس واحد - لَرَسَمْتُه كما يأتي :

وَلَوْلا أَنْ يَنالَ أَبا طَرِيفٍ عَذابٌ مِنْ مَليكٍ أَوْ نَكال ،
لَما أَسْمَعْتُكُمْ قَذَعًا - وَلكِنْ لِكُلِّ مَقامِ ذي عانٍ مَقال -
عَلى ما تَحْبِسونَ أَبا طَرِيفٍ ؛ أَلا في كُلِّ ما شَيْءٍ طَوال !

39 الفرزدق : 46/1 ، وهي فيه برقم 6 . والقيامة أولا الموت ، وآخرا الشيب .

40 السابق : 71/1 ، وهي فيه برقم 24 .

41 السابق : 75/1-76 ، وهي فيه برقم 28 . وهكذا كتب كلمة " نوابي " بالياء ، وأنا أحذفها لأنني لا أثبت أمثالها مما تستولده القافية ، ولكنني سألت فيها أستاذي محمود محمد شاكر - رحمه الله ! - فقال : يثبتها علماء العرب حينا ويحذفونها حينا .

42 السابق : 97/1 ، وهي فيه برقم 44 .

43 السابق : 111/1-112 ، وهي فيه برقم 51 . و" العراقيب " خبر لا بدل .

44 الأخفش : 164 ، والفارابي : 1089-1090 . وعلى حين قاس أولهما السكون بالحركة ، قاس آخرهما الحركة بالسكون ، من دون أن تتغير الحقيقة الصوتية المقيسة ! وفيما يأتي أُنَمِّطُ لمثلثات زهير والفرزدق ، أَنْماطَها ، وأقيس الحركة في كل منها ، على إجمال أبياتها ، ثم على تفصيلها :

المثلثة	نمطها	حركتها	
ز1	و= الكامل التام الصحيح العروض والضرب	1,08	1,00

	ق= اللامية المفتوحة المجردة الموصولة بالتاء المكسورة		1,00
			1,23
ز2	و= الوافر الوافي المقطوف العروض والضرب ق= البائية المكسورة المردفة بواو المد أو يائه الموصولة بالياء	0,60	0,53
			0,53
			0,77
ز3	و= الرمل الوافي المحذوف العروض والضرب ق= الجيمية المقيدة المجردة	0,89	0,83
			1,00
			0,83
ز4	و= الطويل الوافي المقبوض العروض والضرب ق= الحائية المكسورة المجردة الموصلة بالياء	0,77	0,80
			0,65
			0,87
ز5	و= الوافر الوافي المقطوف العروض والضرب ق= اللامية المضمومة المردفة بالألف الموصولة بالواو	0,60	0,53
			0,77
			0,53
ف1	و= الطويل الوافي المقبوض العروض والضرب ق= البائية المضمومة المجردة الموصولة بالواو	0,79	0,87
			0,65
			0,87
ف2	و= الطويل الوافي المقبوض العروض والضرب ق= البائية المكسورة المؤسسة الموصولة بالياء	0,58	0,56
			0,56
			0,65
ف3	و= الطويل الوافي المقبوض العروض المحذوف الضرب ق= البائية المكسورة المردفة بالألف الموصولة بالياء	0,80	0,69
			0,80
			0,93
ف4	و= الطويل الوافي المقبوض العروض والضرب ق= البائية المضمومة المؤسسة الموصولة بالهاء الساكنة	0,75	0,75
			0,75
			0,75
ف5	و= البسيط الوافي المخبون العروض والضرب ق= البائية المطلقة المردفة بواو المد أو يائه الموصولة بالواو	0,72	0,59
			0,50
			0,50

45 أَفْضَيْتُ مِنْ تأمل رسائل مثلثات شاعرينا ، وتحقيق حركات تفكيرهما فيها ، إلى رسم مسالكها بهذا الجدول الآتي :

المثلثة	رسالتها	أفكارها			
		على ترتيب أبيات زهير		على ترتيب أبيات الفرزدق	
		الفكرة	نوعها	الفكرة	نوعها
ز 1 = ف 2	الرِّثاءُ	فقد المرثي	مشكلة	فقد المرثي	مشكلة
		حاجة الناس إليه	دعوى	فضل كرمه	دليل
		فضل نجدته	دليل	حاجة الناس إليه	دعوى
ز 2 = ف 4	التَّأْديبُ	النهي عن العتب	مشكلة	النهي عن التسرع	مشكلة
		النهي عن التنقيب	مشكلة	وخامة عاقبة الاغترار	دعوى
		كفاية التفرس	دعوى	صعوبة مسالك المقتدرين	دليل
ز 3 = ف 1	المَدَحُ	ضيعة السلطان أو العرف	مشكلة	تخير ألطف أوعية الخمر	دليل
		تخير أسرع الجياد وأجلدها	دليل	العجلة إلى أكرم الخمر	دليل
		تخير أطيع الجياد وأنشطها	دليل	وشك الموت أو الشيب	مشكلة
ز 4 = ف 5	الهِجاءُ	استنكار أن يجترئ عليه أحد	مشكلة	شجاعة أهله وجبن أهل مهجوه	دعوى
		أن أي مجترئ هالك أو مفتضح	دليل	رفعة أهله وضعة أهل مهجوه	دليل
		أن مهجوه هالك أو مفتضح	دعوى	ربانية رفعته التي لا ذكر معها لمهجوه	دعوى
ز 5 = ف 3	السِّياسَةُ	خشية أن ينال صاحبه سوء	دعوى	إعراض العذارى	مشكلة
		الاضطرار إلى إساءة الظن	مشكلة	تخابث العذارى	دعوى
		كمون النعمة في طوايا النقمة	دليل	إباء الحسرة	دليل

46 ثم إن للفرزدق - 223/2 ، برقم 443 - قصيدة واحدة تساعية ، من نمط مثلثة زهير الخامسة ، وليست لزهير أية قصيدة من أي نمط من أنماط مثلثات الفرزدق .

47 هي التي في ديوانه بهذه الأرقام : 13 ، 54 ، 57 ، 72 .

48 هي التي في ديوانه بهذه الأرقام : 11 ، 12 ، 14 ، 19 ، 27 ، 48 ، 49 ، 55 ، 61 ، 66 ، 75 ، 76 .

49 هي التي في ديوانه بهذه الأرقام : 30 ، 31 ، 32 ، 34 ، 37 ، 39 ، 46 ، 52 ، 53 ، 59 ، 62 ، 64 ، 70 ، 79 .

50 ابن سلام : 64/1 .

51 زهير : 138 .

52 السابق نفسه ؛ فقد قال الأعلم في شرحه : " قَوْلُه : فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُه ثَلاثٌ ، يُرِيدُ : ثَلاثُ خِصالٍ ، يَنْفُذُ بِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْها : فَمِنْها نِفارٌ أَيْ تَنافُرٌ إِلى رَجُلٍ حاكِمٍ يَتَبَيَّنُ حُجَجَ الْخُصومِ وَيحْكُمُ بَيْنَهُمْ ، وَمِنْها يَمينٌ ، وَمِنْها جِلاءٌ وَهُوَ أَنْ يَنْكَشِفَ الْأَمْرُ وَيَنْجَلي فَيُعْلَمَ فَيُقْضى بِه لِصاحِبِه دونَ خِصامٍ وَلا يَمينٍ " ! ولقد جمع علماؤنا القدماء بين بيت زهير هذا وبين رسالة سيدنا عمر في القضاء إلى سيدنا أبي موسَى الْأَشْعَري - رضي الله عنهما ! - ولأمر ما كانَ سيدنا عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ! - يفضل زهيرا ، وإذا أُنْشِدَ بيته هذا " تَعَجَّبَ مِنْ مَعْرِفَتِه بِمَقاطِعِ الْحُقوقِ " ابن قتيبة : 149/1 ، وقبلها 140/1 . قال محقق كتاب ابن قتيبة العلامة في فتح جيم " جلاء " بعد التنبيه على كسرها في الديوان وغيره : " لِكِنَّ تَفْسيرَ ابْنِ قُتَيْبَةَ بِأَنَّه بُرْهانٌ يَجلو بِه الْحَقُّ ، قَدْ يُؤَيِّدُ الْفَتْحَ " !

53 مسكويه : 37 .

54 ابن سلام : 41/1 ، 44 ، 64 ؛ فقد ذكر من الشعراء " مَنْ كانَ يَنْعى عَلى نَفْسِه وَيَتَعَهَّرُ ... وَكانَ الْفَرَزْدَقُ أَقْوَلَ أَهْلِ الْإِسْلامِ في هذا الْفَنِّ " ؛ فعلق عليه محققه العلامة - رحمه الله ! - قول ابن منظور : " فُلانٌ يَنْعى عَلى نَفْسِه بِالْفَواحِشِ : إِذا شَهَرَ نَفْسَه بِتَعاطي الْفَواحِشِ " - ثم روى ابن سلام عن أَهْلِ النَّظَرِ : " كانَ زُهَيْرٌ أَحْصَفَهُمْ شِعْرًا ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ سُخْفٍ " ؛ فعلق عليه قوله : " أَحْصَفُهُمْ : أَحْكَمُهُمْ وَأَجْزَلُهُمْ . مِنَ الْحَصافَةِ : جَوْدَةُ الرَّأْيِ وَإِحْكامُه . وَاسْتَحْصَفَ : اسْتَحْكَمَ وَاشْتَدَّ . وَالْحَصيفُ : الْمُحْكَمُ الرَّأْيِ الْجَيِّدُ التَّدْبيرِ " .

55 مسكويه : 37 ، 38 .

56 راجع ما سبق في الحاشية 22 .

57 في التصور العلمي العروضي ، ينبغي أن تنبني كلتا قصيدتي شاعرينا ، على تَكْرار مَجاميعَ مُثَمَّنَةٍ (أبيات) من مُرَكَّباتِ مَقاطِعَ (تفاعيل) ، بحيث يكون المَجْموعُ المُثَمَّنُ منها ، كما يأتي :

الترتيب	1	2	3	4	5	6	7	8
التفعيل	فَعولُنْ	مَفاعيلُنْ	فَعولُنْ	مَفاعيلُنْ	فَعولُنْ	مَفاعيلُنْ	فَعولُنْ	مَفاعيلُنْ
التوقيع	دَنْ دَنْ	دَنْ دَنْ دَنْ	دَنْ دَنْ	دَنْ دَنْ دَنْ	دَنْ دَنْ	دَنْ دَنْ دَنْ	دَنْ دَنْ	دَنْ دَنْ دَنْ

58 ذاك هو التصور العلمي العروضي ، وفي قوانين وقوع التغيير به ، تفاصيل لا مجال لذكرها ، فأما خصائص طويلتي شاعرينا الوزنية ، فقد جدولتها فيما يأتي :

أجزاء الوزن		ز1	ز2	ز3	ز4	ز5	ف1	ف2	ف3	ف4	ف5
1	قصير	100,00	100.00	100,00	100,00	100.00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00
2	مفتوح	25,00	33,33	31,82	37,50	×	66,67	50,00	33,33	50,00	42,31
	مغلق	75,00	66,67	68,18	62,50	100,00	33,33	50,00	66,67	50,00	57,69
3	مغلق	100,00	66,67	36,36	31,25	50,00	83,33	25,00	66,67	70,00	69,23
	مفتوح	×	×	18,18	12,50	×	×	25,00	×	20,00	×
	قصير	×	33,33	45,45	56,25	50,00	16,67	50,00	33,33	10,00	30,77
طَبيقَتُها		×	33,33	68,18	37,50	50,00	16,67	50,00	66,67	10,00	34,62

100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	قصير	4
50,00	×	×	75,00	16,67	50,00	31,25	45,45	33,33	50,00	مفتوح	5
50,00	100,00	100,00	25,00	83,33	50,00	68,75	54,55	66,67	50,00	مغلق	
38,46	50,00		50,00	33,33	×	56,25	54,55	33,33	50,00	مفتوح	6
61,54	50,00	100,00	50,00	66,67	100,00	43,75	45,45	33,33	50,00	مغلق	
×	×	×	×	×	×	×	×	33,33	×	قصير	
88,46	80,00	100,00	100,00	50,00	×	81,25	77,27	100.00	75,00	مغلق	7
11,54	20,00	×	×	50,00	100,00	18,75	22,73	×	25,00	مفتوح	
3,85	×	×	×	×	×	6,25	4,55	33,33	×	طَبِيقَتُها	
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	قصير	8
69,23	60,00	33,33	×	50,00	×	43,75	40,91	33,33	25,00	مفتوح	9
30,77	40,00	66,67	100,00	50,00	100,00	56,25	59,09	66,67	75,00	مغلق	
50,00	50,00	33,33	25,00	16,67	×	43,75	45,45	33,33	25,00	مغلق	10
23,08	10,00	66,67	50,00	16,67	50,00	12,50	13,64	33,33	25,00	مفتوح	
26,92	40,00	×	25,00	66,67	50,00	43,75	40,91	33,33	50,00	قصير	
7,69	10,00	33,33	25,00	16,67	×	31,25	18,18	×	×	طَبِيقَتُها	
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	قصير	11
46,15	30,00	33,33	25,00	33,33	×	37,50	59,09	66,67	50,00	مفتوح	12
53,85	70,00	66,67	75,00	66,67	100,00	62,50	40,91	33,33	50,00	مغلق	
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	قصير	13
42,31	40,00	66,67	50,00	66,67	50,00	31,25	40,91	100.00	50,00	مغلق	14
57,69	60,00	33,33	50,00	33,33	50,00	68,75	59,09	×	50,00	مفتوح	
50,00	50,00	×	75,00	66,67	×	37,50	59,09	66,67	50,00	طَبِيقَتُها	
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	قصير	15
23,08	60,00	66,67	25,00	66,67	50,00	56,25	40,91	66,67	25,00	مفتوح	16
76,92	40,00	33,33	75,00	33,33	50,00	43,75	59,09	33,33	75,00	مغلق	
42,31	40,00	66,67	50,00	50,00	×	56,25	54,55	100.00	25,00	مغلق	17
23,08	20,00	×	25,00	33,33	×	31,25	4,55	×	25,00	مفتوح	
34,62	40,00	33,33	25,00	16,67	100,00	12,50	40,91	×	50,00	قصير	
38,46	10,00	×	50,00	16,67	×	43,75	31,82	×	50,00	طَبِيقَتُها	
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	قصير	18
46,15	30,00	33,33	75,00	33,33	50,00	37,50	45,45	33,33	75,00	مفتوح	19
53,85	70,00	66,67	25,00	66,67	50,00	62,50	54,55	66,67	25,00	مغلق	
42,31	40,00	33,33	25,00	33,33	50,00	31,25	31,82	66,67	25,00	مفتوح	20
57,69	60,00	66,67	75,00	66,67	50,00	62,50	54,55	×	50,00	مغلق	
×	×	×	×	×	×	6,25	13,64	33,33	25,00	قصير	
73,08	40,00	66,67	50,00	33,33	50,00	62,50	72,73	100.00	100,00	مغلق	21
26,92	60,00	33,33	50,00	66,67	50,00	37,50	27,27	×	×	مفتوح	
×	×	×	×	×	×	×	13,64	×	×	طَبِيقَتُها	
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	قصير	22
53,85	40,00	66,67	25,00	66,67	50,00	62,50	63,64	66,67	75,00	مفتوح	23
46,15	60,00	33,33	75,00	33,33	50,00	37,50	36,36	33,33	25,00	مغلق	
38,46	10,00	66,67	75,00	16,67	50,00	50,00	31,82	×	25,00	مغلق	24
23,08	40,00	×	×	16,67	×	×	18,18	×	×	مفتوح	
38,46	50,00	33,33	25,00	66,67	50,00	50,00	50,00	100.00	75,00	قصير	
38,46	40,00	66,67	50,00	33,33	×	12,50	22,73	×	×	طَبِيقَتُها	
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	قصير	25
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	مفتوح	26
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	قصير	27
100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100.00	100,00	مغلق	28
61,54	40,00	100,00	75,00	66,67	×	56,25	50,00	33,33	50,00	طَبِيقَتُها	

- الطَّبِيقَـةُ هنـا ، الكلمـة الكتابيـة إذا انفـردت بـأداء أجـزاء الـوزن ؛ فطابقتهـا . والكلمـة الكتابية هي المحفوفة من قبلها ومن بعدها ببياض ، المعدودة بذلك في الحاسوب ، كلمة واحدة ، مهما كان اعتبارها في التحليل اللغوي ؛ فإن التعويل هنا على إيقاع النطق ، والطبيقة عندئذ تستولي على تمهل الشاعر أولا والمتلقي آخرا .

59 في أثناء ذلك التصور العلمي العروضي نفسه ، ينبغي أن تتبني كلتا طويلتي شاعرينا ، على تمييز تكرار آخر مقطعين طويلين من مقاطع (تفاعيل) تلك المجاميع (الأبيات) وما بينهما من مقاطع ، التي هي هنا " فاعِلُنْ = دَنْ دَدَنْ " من " مَفاعِلُنْ = دَدَنْ دَدَنْ " ، الآخرة .

60 ذاك هو التصور العلمي العروضي ، وفي قوانين وقوع التغيير به ، تفاصيل لا مجال لذكرها ، فأما خصائص طويلتي شاعرينا القافوية ، فقد جدولتها فيما يأتي :

أجزاء القافية		ز1	ز2	ز3	ز4	ز5	ف1	ف2	ف3	ف4	ف5
1	و	25,00	×	18,18	25,00	×	16,67	×	×	20,00	3,85
	ع	25,00	33,33	×	6,25	×	16,67		33,33	×	×
	ز	25,00	×	4,55	×	×	×	×	×	×	×
	ش	25,00	×	4,55	×	×	16,67	25,00	×	×	3,85
	ج	×	33,33	×	×	50,00	×	×	×	10,00	×
	ف	×	33,33	9,09	12,50	×	×	×	×	×	×
	ر	×	×	4,55	×	×	16,67	25,00	33,33	×	11,54
	ك	×	×	4,55	×	×	×	×	×	×	3,85
	ب	×	×	4,55	6,25	×	16,67	×	×	10,00	3,85
	خ	×	×	9,09	6,25	×	×	×	×	10,00	7,69
	ض	×	×	4,55	×	×	×	×	×	×	×
	س	×	×	4,55	6,25	×	×	×	×	20,00	15,38
	ح	×	×	9,09	6,25	×	×	25,00	×	×	15,38
	ل	×	×	4,55	6,25	×	×	×	×	×	×
	ص	×	×	9,09	×	×	×	×	×	×	3,85
	ن	×	×	4,55	6,25	×	×	25,00	×	20,00	3,85
	ق	×	×	4,55	12,50	×	×	×	×	×	3,85
	ط	×	×	×	6,25	×	×	×	×	×	3,85
	ء	×	×	×	×	50,00	×	×	×	×	3,85
	د	×	×	×	×	×	16,67	×	×	×	×
	م	×	×	×	×	×	×	×	33,33	×	3,85
	ث	×	×	×	×	×	×	×	×	10,00	×
	ت	×	×	×	×	×	×	×	×	×	3,85
	ي	×	×	×	×	×	×	×	×	×	3,85
	غ	×	×	×	×	×	×	×	×	×	3,85
2	◌ـ	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00
3	◌ـ	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00
4	ح	25,00	×	×	×	×	×	×	×	×	×
	د	25,00	×	×	×	×	16,67	×	×	10,00	11,54
	ي	25,00	×	×	×	×	×	×	33,33	×	×
	م	25,00	×	13,64	×	×	×	×	×	10,00	3,85
	ق	×	66,67		6,25	×	16,67	×	×	×	7,69
	و	×	33,33	9,09	12,50	×	×	×	×	×	3,85
	ك	×	33,33	×	×	×	×	×	×	×	7,69
	ط	×	×	4,55	2,04	×	×	×	×	10,00	3,85
	هـ	×	×	4,55	6,25	50,00	×	×	×	×	3,85
	ج	×	×	4,55	×	50,00	×	×	×	10,00	3,85
	ت	×	×	9,09	12,50	×	×	×	×	10,00	3,85
	ء	×	×	27,27	18,75	×	16,67	25,00	×	40,00	×
	ف	×	×	4,55	×	×	×	25,00	×	×	3,85
	ص	×	×	4,55	12,50	×	×	×	33,33	10,00	3,85
	غ	×	×	4,55	×	×	×	×	×	×	×
	ب	×	×	4,55	×	×	×	×	×	×	×
	ذ	×	×	4,55	6,25	×	×	25,00	×	×	7,69
	ض	×	×	×	6,25	×	×	×	33,33	×	3,85
	ع	×	×	×	6,25	×	×	×	×	×	×
	ز	×	×	×	6,25	×	16,67	×	×	×	×
	ث	×	×	×	×	×	16,67	×	×	×	×

	ظ	×	×	×	×	×	25,00	×	×	×	3,85
	خ	×	×	×	×	×	×	×	×	×	3,85
	س	×	×	×	×	×	×	×	×	×	7,69
5	ـِـ	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	83,33	100,00	100,00	100,00
	ـُـ	×	×	×	×	×	×	16,67	×	×	×
6	ل	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	×	×	×	×	×
	ر	×	×	×	×	×	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00
7	ـُـ	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00
8	هـ	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00	100,00
طَبيقَتُها		25,00	×	22,73	37,50	100,00	33,33	25,00	×	50,00	34,62

- والطَّبيقَةُ هنا ، الكلمة الكتابية إذا انفردت بأداء أجزاء القافية ؛ فطابقتها .

61 ابن منظور : مرح .

62 زهير : 31 . في تفصيل النص تنبيه على أفكاره ، وفصوله (فقره) .

63 الفرزدق : 283/1 .

64 في الديوان وعند الصاوي كليهما " يَحْلو لي لِعَيْنِيَ جائِرُهْ " ، وفيه ركاكة إبدال " لِعَيْنِيَ " من " لي " ، بلا فائدة تذكر ، فأما " يَحْلَوْلي " الذي أَثْبَتُّه ، فلا ركاكة فيه ، بل جَزالةُ مُبالَغَةِ باب " افْعَوْعَلَ ، يَفْعَوْعِلَ " ، في باب " فَعُلَ ، يَفْعُلُ " ، وهُوَ الظَّنُّ بِأَبي فِراسٍ !

65 في الجدول الآتي أفصل فصول رسالتي طويلتي زهير والفرزدق ، وأقيس حركتيهما العروضيتين على إجمال فصولهما ، ثم على تفصيلها ، وأحقق حركات تفكيريهما ، وأرسم مسالكها :

الفصل	ز				ف				
	طوله	حركته		فكرته	نوعها	طوله	حركته		فكرته	نوعها
1	8,51		0,75	الحسرة	مشكلة	12,24		0,71	الحسرة	مشكلة
2	6,38		0,79	البين	دعوى	8,16		0,67	الحيرة	دعوى
3	46,81	0,74	0,75	الطرد	دليل	6,12	0,68	0,65	البين	دعوى
4	34,04		0,72	الكمال	دليل	20,41		0,60	الحسرة	مشكلة
5	4,26		0,81	النقص	دليل	53,06		0,67	الطرد	دليل

66 ابن رشيق : 27/2 .

67 الطيب : 327/2 .

68 استفدت من الجدول السابق في الحاشية 58 ، أن أرسم فيما يلي من اليسار إلى اليمين ، حركة المقاطع القصيرة ، ثم الطويلة المفتوحة ، ثم الطويلة المغلقة ، ثم المطابقات ، في تفاعيل أبيات طويلة زهير ، ثم في تفاعيل أبيات طويلة الفرزدق :

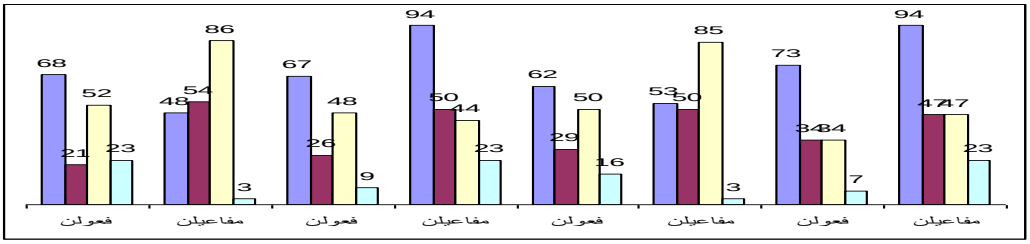

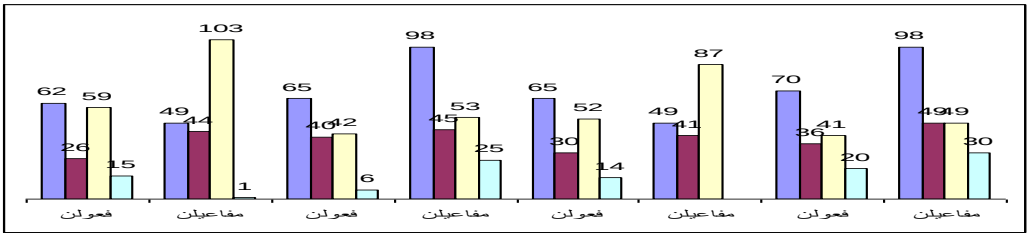

69 الطيب : 166/2 .
70 المعري : 12/1 .
71 امرؤ القيس : 17 .
72 ابن منظور : شزر .
73 امرؤ القيس : 16 .
74 الأنباري : 60 .
75 أيوب : 135-136 .
76 صقر : 26 .
77 الأصفهاني : 3753/10 .

كُتُبُ الْبَحْثِ

- ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني) : " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، الطبعة الخامسة في 1401هـ= 1981م ، نشرة دار الجيل ببيروت .
- ابن سلام (محمد الجمحي) : " طبقات فحول الشعراء " ، قراءة محمود محمد شاكر وشرحه ، طبعة المدني بالقاهرة .
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) : " الشعر والشعراء " ، تحقيق أحمد محمد شاكر وشرحه ، نشرة دار المعارف بالقاهرة .
- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم المصري) : " لسان العرب " ، نشرة دار المعارف بالقاهرة .
- الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة) : " كتاب العروض " ، تحقيق الدكتور أحمد عبد الدايم ، طبعة 1409هـ= 1989م ، نشرة الزهراء بالقاهرة .
- الأصفهاني (علي بن الحسين القرشي) : " الأغاني " ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، طبعة 1969م ، نشرة دار الشعب بالقاهرة .
- امرؤ القيس (ابن حجر بن الحارث ، الملك الضليل) : " ديوانه " ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الرابعة ، نشرة دار المعارف بالقاهرة .
- الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم) : " شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات " ، تحقيق عبد السلام هارون وتعليقه ، الطبعة الخامسة ، نشرة دار المعارف بالقاهرة .
- أيوب (الدكتور عبدالرحمن) : " أصوات اللغة " ، طبعة الكيلاني الثانية في 1968م ، بالقاهرة .
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : " البيان والتبيين " ، تحقيق عبد السلام هارون وشرحه ، طبعة المدني الخامسة في 1405هـ=1985م ، نشرة الخانجي بالقاهرة .
- جرير (ابن عطية بن حذيفةَ الخَطَفى) : " ديوانه " ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، الطبعة الرابعة ، نشرة دار المعارف بالقاهرة .
- حقي (الدكتور ممدوح) :" الفرزدق "، الطبعة الخامسة ، نشرة دار المعارف بالقاهرة .
- دي بوجراند (روبرت) : " النص والخطاب والإجراء " ، ترجمة الدكتور تمام حسان ، الطبعة الأولى في 1418هـ=1998م ، نشرة عالم الكتب بالقاهرة .
- زهير (ابن أبي سلمى المزني) : " شعره " ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، الطبعة الثالثة في 1980م ، نشرة دار الآفاق الجديدة ببيروت .
- الصاوي (عبد الله إسماعيل) : " شرح ديوان الفرزدق " ، نشرة الصاوي بالقاهرة ، الأولى في 1354هـ= 1936م ، توزيع المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .
- صقر (الدكتور محمد جمال) : " سرب الوحش : أبحاث نصية عروضية " ، الطبعة الأولى في 1427هـ=2006م ، نشرة مؤسسة العلياء بالقاهرة .
- الطيب (الدكتور عبد الله) : " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها " ، الطبعة الرابعة في 1991م ، نشرة دار جامعة الخرطوم .
- الفارابي (أبو نصر محمد بن طرخان) : " كتاب الموسيقى الكبير " تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة الدكتور محمود أحمد الحفني ، طبعة دار الكاتب بالقاهرة .
- الفرزدق (أبو فراس همام بن غالب) : " ديوانه " ، شرح الدكتور علي مهدي زيتون ، الطبعة الأولى في 1417هـ=1997م ، نشرة دار الجيل ببيروت .
- مجمع أبي ظبي الثقافي : " الموسوعة الشعرية (القرص المدمج) " ، إصدار 2003م.

- المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى) : " الموشح : مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر " ، تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي ، نشرة دار الفكر العربي بالقاهرة .
- مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي) : " تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق " ، تقديم حسن تميم ، الطبعة الثانية ، نشرة دار مكتبة الحياة ببيروت .
- المعري (أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخي) : " اللزوميات " ، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي ، نشرة الخانجي بالقاهرة .
- ويليك (رينيه) وواريـن (أوستن) : " نظريـة لأدب " ، ترجمـة محيـي الـدين صـبحي ، مراجعة الدكتور حسام الدين الخطيب ، الطبعة الثالثة في 1985م ، نشرة المؤسسة العربيـة للدراسات والنشر ببيروت .